وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ابن خلدون تيارت
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي في العصر الوسيط الموسومة بـ:

التصوف في بلاد السودان الغربي
(الطريقة القادرية والتيجانية نموذجا) (ق 10-13هـ/16-19م)

من تقديم:
- بوداني ناصر ضياء الحق
- بولفراد بن عيسى
- خليل خالد

الأستاذ المشرف:
د. ة نعيمة الطيب بوجمعة

لجنة المناقشة	
أ.د علي العبيدي	رئيسا
د. ة نعيمة الطيب بوجمعة	مشرفا
أ.ة نوارة شرقي	مناقشا

السنة الجامعية: 1440-1441هـ/2019-2020م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكـر وتقدير

"الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ"

ليس ثمة أجمل من كلمة شكر تنبع من القلب وتحمل إعترافا بالجميل، كلمة شكر تعبر لأستاذتنا "نعيمة الطيب بوجمعة" التي أشرفت علينا في إتمام هذه المذكرة ورافقتنا في كل لحظات بحثنا ولم تبخل علينا بإرشادها ونصائحها القيمة كلما واجهتنا مشكلة أو

الإهداء

الحمد لله وكفى والصلاة على الحبيب المصطفى وأهله ومن وفى.

الحمد لله الذي وفقنا لتثمين هذه الخطوة في مسيرتنا الدراسية بمذكرتنا

هذه ثمرة الجهد والنجاح بفضله تعإلى مهداة إلى الوالدين الكريمين حفظهم الله

وأطال في أعمارهما.

إلى جميع إخوتي رعاهم الله.

إلى كل الأصدقاء والأهل والأقارب.

إلى كل من علمني حرفا وأخذ بيدي في سبيل تحصيل العلم والمعرفة.

إليهم جميعا أهدي ثمرة جهدي ونتاج بحثي المتواضع.

قائمة المختصرات:

تر	ترجمة
مج	مجلد
ع	عدد
د م ن	دون مكان نشر
د ت ن	دون تاريخ نشر
ص	صفحة
تق	تقديم

مقدمة

مقدمة

بعد انتشار الإسلام بغرب القارة الإفريقية أو كمال يقال لها في الفترة الوسيطة بلاد السودان الغربي، انتشر بها المذهب المالكي والعقيدة الأشعرية وتغلبوا على بقية المذاهب والفرق الإسلامية الأخرى، فكان من الطبيعي جدا أن تتسرب الطرق الصوفية إلى المنطقة عبر الصحراء بفضل جهود العلماء والدعاة المغاربة، فتأثرت بلاد السودان بتصوف المغاربة وبالطرق التي استقدموها لبلادهم سواء الطرق المحلية كالتيجانية والسنوسية، أو المستوردة من بلاد المشرق كالقادرية مثلا، تسربت كلها إلى بلاد السودان الغربي بداية من القرن 9هـ/15م، وعمل أصحاب الطرق الصوفية على تحسين الأوضاع الدينية والاجتماعية التي عرفتها مجتمعات الأفارقة كتفشي الجهل والشرك بينهم، فانتشر التصوف بفضل جهود الشيوخ والمريدين الذين واصلوا نشر الإسلام بالمنطقة، وعملوا على تثبيته وترسيخه، لذا واجهوا حملات التنصير التي عرفتها البلاد بسبب الهجمة الاستعمارية على المنطقة.

لذا يعتبر موضوع الطرق الصوفية في منطقة السودان الغربي من المواضيع التي تحمل في طياتها أهمية بالغة إذ تتجلى أهميته في الدور الذي مارسه المتصوفة في تلك المنطقة من محاربتهم للشرك والوثنية ومختلف البدع، ومحاولاتهم للعودة بالدين الإسلامي إلى نقاوته الأولى، لذا يعتبر ظهور الطرق الصوفية بالسودان الغربي تطور ثقافي وسياسي واجتماعي وديني عرفته منطقة إفريقيا جنوب الصحراء.

لذا وقع اختيارنا على موضوع "**التصوف ببلاد السودان الغربي: القادرية والتيجانية نموذجا (ق 10-13هـ/16-19م**"، ومن الأسباب التي دفعتها إلى اختيار هذا الموضوع دون غيره من المواضيع هو اهتمامنا الشديد بتاريخ إفريقيا الإسلامية، ورغبتنا في دراسة هذه المنطقة التي تمثل عمقا سياسيا وفكريا وعلميا واجتماعيا في القارة الإفريقية.

ومن خلال الأهمية البالغة التي تضمنتها هذه الدراسة كان لنا أن نضع لها إشكالية محورية: هل يمكن فعلا اعتبار الطريقتين القادرية والتيجانية واحدة من العوامل التي ساعدت على تثبيت الإسلام والثقافة العربية بالمنطقة، ونشره بين القبائل الوثنية رغم الصراع القائم بينهما ؟

وقد تفرعت عن هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات الفرعية التي تساعدنا على الوصول إلى إجابة عن الإشكالية الرئيسية حتى تبلغ هذه الدراسة غايتها:

وعليه فما حقيقة التصوف ؟ وما أكثر الطرق الصوفية انتشار بالمنطقة ؟ وكيف ساهمت في ترسيخ الثقافة العربية الإسلامية في المنطقة ؟ وأي الطرق كان لها تأثير أكبر في هذا المجال ؟ وما مدى تأثير هذه الطرق على تاريخ وأبناء المنطقة رغم الصراع الذي كان بين أصحاب الطرق على النفوذ السياسي والروحي ؟

وكأي بحث أكاديمي واجهنا بعض المشاكل والصعوبات، منها غياب الموضوعية في أغلبية الدراسات التي تناولت موضوع الطرق الصوفية فكثر مدح الشيوخ والمبالغة في الإشادة بكراماتهم، إضافة لعدم ضبط أغلبية الأحداث بتواريخ محددة من قبل بعض الباحثين، كما واجهتنا مشكلة أخرى وهي ندرة المعلومات وتشابهها في معظم المصادر والمراجع التي تحصلنا عليها، وعلى الرغم من كل هذا الصعوبات تمكنا بفضل الله تعالى ثم بفضل توجيهات الأستاذة المشرفة تخطي جل هذه الصعاب، وإخراج عملنا بالشكل الذي هو عليه الآن، والذي نأمل من المولى عز وجل أن نكون قد أضفنا من خلاله دراسة علمية لفائدة الطلبة والباحثين في تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء.

وبالنسبة للدراسات السابقة نجد دراسات جاجو حسين، حركة الحاج عمر فوتي في السودان الغربي خلال القرن 18، رسالة ماجستير تاريخ حديث ومعاصر، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 1994، وبوعتروس أحمد وكتابه الحركات الإصلاحية في إفريقيا جنوب الصحراء إبان القرن 13هـ/ 19م، واستفدنا بشكل كبير من دراسة برايماباري عثمان،جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي (410-515هـ/ 1038-1121م).

ولدراسة موضوعنا اعتمدنا على المنهج التاريخي، الذي اقتضته طبيعة الموضوع واستعنا فيه على الوصف في دراسة بعض المناطق في السودان الغربي، ووصف أهم الشخصيات وأقطاب الصوفية لنبرز إسهاماتهم في المنطقة، بالإضافة إلى المنهج المقارن حيث اعتمدنا عليه في المقارنة بين هذه الطرق لمعرفة أي الطرق كان تأثيرها اكبر في المنطقة ومعرفة المنهج الذي اعتمدته كل طريقة.

وقسمنا العمل غلى مقدمة تحدثنا فيها عن موضوع دراستنا، ومدخل، وفصلين وخاتمة، بالنسبة للمدخل جاء فيه لمحة عن التصوف تناولنا من خلالها مفهوم التصوف اللغوي والإصلاحي وظهوره في بلاد المشرق الإسلامي، ثم كيف ا،هـ انتشر ببلاد المغرب الإسلامي، وارتأينا بعدها التعريف ببلاد السودان الغربي جغرافيا وكيف انتشر الإسلام لها.

الفصل الأول "**التصوف والطرق الصوفية في السودان الغربي (القادرية والتيجانية نموذجا)**"، قسمناه إلى ثلاث مباحث حاولنا من خلالها معرفة الأسباب والظرف التي أدت إلى ظهور التصوف في السودان الغربي، والدور الذي لعبه الشيخ المغيلي في المنطقة وكيف أنه عمل على نشر التصوف القادري بها، من خلال دراستنا لنشاطه الدعوي بغرب القارة.

أما المبحث الثاني "**الطريقة القادرية في السودان الغربي**"، كان من الضروري الإشارة إلى الأصل المشرقي للطريقة وكيف أن التصوف عرف تطورا في المفهوم والممارسة، ثم درسنا تأسيس الطريقة القادرية ببلاد المغرب الإسلامي، وعوامل تسربها ببلاد السودان الغربي ومراكز نفوذها، وكيف تمكن السودانيون من تأسيس فروع جديدة ذات صبغة إفريقية خالصة، فظهرت لنا الطريقة الكنتية، والطريقة البكائية والطريقة الفاضلية.

والمبحث الثالث خصصناه "**للطريقة التيجانية في السودان الغربي**"، عرفنا فيه بمؤسس الطريقة في الجزائر التيجاني، والأسباب التي دفعت به لنقل طريقته وبناء زاويته بفاس، وكيف انتقلت الطريقة إلى السودان الغربي، وعن شيخ الطريقة بالمنطقة والذي بفضله عرفت التيجانية انتشارا واسعا وكبيرا بالغرب الإفريقي حتى أنها غطت على القادرية بالرغم من كونها أول الطرق الصوفية تسربا للمنطقة، وهو الشيخ عمر بن سعيد الفوتي السنغالي أو عمر تل كما يعرف أيضا، وبالتالي كان يجب علينا معرفة أسباب انتشارها ومراكز نفوذها، والطرق التي تفرعت عن الطرقة الأمة بفضل أبناء المنطقة وهما الطريقتان الحموية والمريدية.

وأما الفصل الثاني جعلناه "**اثر الطرق الصوفية على السودان الغربي**" فقسمناه إلى ثلاث مباحث، المبحث الأول تطرقنا فيه تأثيرات القادرية على بلاد السودان الغربي، بفضل جهود العالم عبد الكريم المغيلي التلمساني ونشاطه الإصلاحي في توات وبلاد السودان من خلال أعماله ومؤلفاته وتناولنا بعدها دور الشيخ الكنتي وحركته الإصلاحية في تثبيت القادرية بالصحراء وبلاد السودان، وأيضا حركة الشيخ عثمان بن فودي ونشاطه الإصلاحي وجهاده بالمنطقة لنشر الإسلام ومواجه الاستعمار الفرنسي.

والمبحث الثاني جاء بعنوان "تأثير الطريقة التيجانية على السودان الغربي" تناولنا في الإصلاحات التي قام بها التيجانيون في المنطقة، وموقفهم من قضية مقاومة الاستعمار في الغرب الإفريقي، وقيام مملكتهم التيجانية على يد عمر الفوتي.

أما المبحث الثالث كان يجب أن نتحدث فيه عن الصراع بين الطريقة التيجانية والطريقة القادرية في السودان الغربي، أسبابه ونتائجه.

وانهينا عملنا بخاتمة حاولنا من خلالها الوقوف على أهم النتائج التي تم التوصل إليها من خلال هذه الدراسة، والتي حاولنا فيها بقدر الإمكان أن نجعلها ملمة لما جاء في الموضوع

ولإنجاز العمل اعتمدنا في بحثنا على جملة من المصادر الهامة التي لها علاقة مع الموضوع، والبعض الآخر جاء مكملا لجوانب أخرى، وفي مقدمتها مصادر المؤرخين السودانيين ثم مصادر التاريخ العامة، ومصادر الرحلة والجغرافيا، بالإضافة إلى المراجع العربية، كما دعمنا موضوعنا بمجموعة من الرسائل الأكاديمية والمقالات.

أولا: مصادر الرحلة والجغرافيا

1- البكري عبد الله بن عبد العزيز بن عمرو (ت:487هـ/1094م): وكتابه "المغرب **في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب**" تناول فيه منطقة السودان الغربي، فقد أفادنا في معرفة جغرافية بلاد السودان الغربي والممالك الإسلامية فيها وأهم الملوك الذين حكموها.

2- ابن بطوطة أبو عبد الله محمد اللواتي (ت 779هـ/1377م): كتابه تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار أورد فيه معلومات كثيرة عن مملكتي غانا ومالي، خاصة وأنه كان شاهد عيان خلال زيارته لدولة مالي سنة 723هـ/1352م.

ثانيا: المصادر التاريخية السودانية:

1-محمد بن عبد الكريم المغيلي، .....، وكتابه مدونة فقه التشريع لبناء الإمارة والذي أفادنا في عوامل إنتشار الطريقة القادرية، وهذا المصدر قد تناول حياة الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي بالإضافة إلى مصدر آخر وهو كتاب الأسقيا وأجوبة المغيلي حيث ساعدنا في معرفة المنهج الذي اتبعه المغيلي في نشر الدعوة في غرب إفريقيا وتصحيح العقيدة الإسلامية.

2-أبي عبد الله الطالب محمد بن أبي بكر البرتلي الولاتي (ت 1219هـ/1727م) وكتابه فتح الشكور لمعرفة أعيان علماء التكرور، الذي يعد من أهم كتب التراجم في تاريخ السودان الغربي، فقد أفادنا في معرفة تراجم علماء وشيوخ السودان الغربي.

3-علي حرازم، جوهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي التيجاني، والذي يعد من أهم مصادر الطريقة التيجانية وقد نشر على هامشه كتاب الرماح لعمر فوتي واعتمدنا عليه في التعريف بمؤسس الطريقة أحمد التجاني وفي معرفة كيفية وصول الطريقة التجانية إلى الحاج عمر.

ثالثا: المراجع

1- إبراهيم علي طرخان ، حيث أفادنا كتابه "**إمبراطورية غانا الإسلامية**" في معرفة عوامل إنتشار الإسلام في السودان الغربي.

2- إبراهيم عبد الله عبد الرزاق ، وأفادنا كتابه الطرق الصوفية في القارة الإفريقية في معرفة عوامل إنتشار الطريقتان القادرية والتجانية ومراكز نفوذهما في المنطقة، أما كتابه المسلمون والإستعمار الأوربي لإفريقيا فقد تعرض فيه إلى ذكر أهم الإصلاحات والتأثيرات التي قام بها القادريون والتجانيون، وعن الصراع الذي كان بين الطريقتين.

3- بوعتروس أحمد، وكتابه الحركات الإصلاحية في إفريقيا جنوب الصحراء إبان القرن 13هـ-19م، ويعد من النراجع الهامة التي تحدثت عن إفريقيا الغربية في الجوانب الثقافية والعلمية والسياسية.

4-عبد الله سالم بازينا، إنتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء الذي أفادنا في معرفة طرق إنتشار الإسلام في السودان الغربي وكتابه هذا يعد من أهم المراجع في تاريخ هاته المنطقة.

مدخـــــل

1. مفهوم التصوف
2. التصوف ببلاد الغرب الإسلامي
3. دخول الإسلام إلى بلاد السودان الغربي

– مفهوم التصوف:

أ– تعريف التصوف:

لغة: فعل خماسي لازم، تصوفت، أتصوف، مصدر تصوفت[1]، وتصوف الرجل: لبس الصوف[2]، وتصوف فنعزل وابتعد عن مخالطة الناس، وتصوف: تخلق بأخلاق الصوفية[3]، فهو متصوف: أي صار صوفيا واتبع سلوك الصوفية وحالاتهم، وخرقة التصوف: ما يلبسه المريد من يد شيخه الذي يدخل في إرادته ويتوب على يده[4].

وعلم التصوف: مجموعة المبادئ التي يعتقد ها المتصوفة والآداب التي يتأدبون بها في خلواتهم.[5]. واختلف جمهور علماء اللغة من الصوفية وغيرهم حول أصل هذه الكلمة ومعناها، فهناك من ذهب إلى كلمة صافا السهم، أي بمعنى صافا عن الرذيلة إلى الفضيلة[6]، وهي كلمة منسوبة إلى صوف القط، هي جلدة الرقبة الخلفية، قيل فيه إن من باب تفعل، إذا دخل في فعل كقولك تقمص أي لبس القميص[7].

وقال الإمام ابن هوزان القشيري الشافعي (ت:465هـ/1073م): "يقال له متصوف والجماعة متصوفة وليس لهذا الاسم من جهة اللغة العربية قياس ولا اشتقاق، ولا ظهر فيه أثر، فهو لقب"[8]. هذا لا يعني عدم وجود أقوال أخرى ظهرت حول أصل هذه التسمية، فهناك قول يكون التصوف مشتقا من الصوف الذي كان

---

[1]– جبران مسعود، **الرائد (معجم لغوي عصري)**. بيروت، دار العلم للملايين، 2009، ص: 365.

[2]– أحمد مختار عمر، **معجم اللغة العربية المعاصرة**. القاهرة، دار عالم الكتب، 2009، ص: 680.

[3]– ابن منظور جمال الدين، **لسان العرب**. مج: 9، بيروت، دار صادر، ط3، 2006، ص: 136 .

[4]– جبران مسعود، المرجع السابق، ص: 366.

[5]– أحمد مختار عمر، المرجع السابق، ص: 682

[6]– ابن دجين السهاي عبد الرحمان، **الطرق الصوفية نشأتها وعقائدها وأثارها**. السعودية، دار الكنوز إشبيلية للنشر والتوزيع، المكتبة العربية، ط1، 2005، ص: 9.

[7]– الأدفوي أبو الفضل جمال الدين جعفر ابن ثعلب، **الموفي بمعرفة التصوف والصوفي**. تج:محمد عيسى الصالحية، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، ط1، 1988، ص: 32، 34.

[8]– القشيري أبو قاسم عبد الكريم بن هوزان، **الرسالة القشيرية**. تح: عبد الحليم محمود بن شريف، مطابع مؤسسة دار الشعب، القاهرة، د.ط، 1409 هـ/1989م، ص: 47

رداء الأنبياء والزهاد هو بذلك يدل على التقشف[1]، وهناك رأي بأنه مشتق من الصفاء كما يؤدي إليه من صفاء النفس عن كدر المحسوسات ويؤهلها للترقي في الأحوال والمقامات[2].

اصطلاحا:

لقد كثرت تعريفاته الاصطلاحية وتعددت، ذهب البعض إلى أنه يصعب وضع تعريف لهذه الكلمة فهي تختلف من عصر إلى آخر وحسب البيئة، فقد سئل الجنيد[3] عن التصوف، فقال: "تصفية القلب عن موافقة البرية ومفارقة الأخلاق الطبيعية، وإخفاء الصفات البشرية ومجانبة الدواعي النفسانية، ومنازلة الصفات الروحانية، والتعلق بالعلوم الحقيقة واستعمال ما هو أولي على الأبدية والنصح لجميع الأمة والوفاء لله على الحقيقة، وإتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في الشريعة"[4]. ويقول معروف الكرخي[5] (ت:200هـ/816م): "التصوف هو الأخذ بالحقائق، واليأس مما في أيدي الخلائق"[6]. وهذا التعريف في جزئه الأول يشير إلى طبيعة الجانب المعرفي للتصوف وهو معرفة حقائق الأشياء وجوهرها وعدم الاكتفاء بما تبديه أو تعطيه ظواهرها، أما الجزء الأخر من التعريف فيشير إلى مقام الزهد، وهو التخلي عما يملكه الناس تقربا من الله تعالى[7]

ويعرفه ابن خلدون بقوله: "طريقة هؤلاء لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريق الحق والهداية واصلها العكوف والعبادة والانقطاع إلى الله عز وجل والإعراض عن الدنيا وزينتها فيما

---

[1]- ابن الجوزي جمال الدين أبي الفرج، **تلبيس إبليس**. بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، د.س.ن، ص: 164.

[2]- القشيري أبو قاسم، المصدر السابق، ص: 48.

[3]- الجنيد البغدادي (215-298هـ/830-910م): هو الجنيد ابن محمد بن الجنيد النهاوندي ثم البغدادي القواريري والده الخزاز، وهو شيخ الصوفية، وتفقه على أبي ثور، وسمع من السري السقطي وصحبه، ومن الحسين بن عرفة، وصحب أيضا الحارث المحاسبي وأبا حمزة البغدادي، وأتقن العلم. ينظر: الذهبي شمس الدين، **سير أعلام النبلاء**. ج: 14، تح: الأرنؤوط شعيب، بيروت، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1405هـ/1984 م، ص: 213

[4]- الكلاباذي أبو بكر محمد، **التعرف لمذهب أهل التصوف**. تح: أرثر جون إربري، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط2، 1994، ص:11.

[5]- الكرخي (ت:200هـ/816م): هو أبو محفوظ البغدادي، واسم أبيه فيروز وقيل فيروزان من الصابئة وقيل كان أبواه نصرانيين، فسلماه إلى مؤدب كان يقول له قل: ثالث ثلاثة، فيقول معروف: بل هو الواحد، فيضربه فيهرب، فكان والداه يقولان: ليته رجع، ثم إن أبويه اسلما على يده، ينظر: الذهبي شمس الدين، المصدر السابق، ج: 14، ص: 227.

[6]- السلمي أبو عبد الرحمان، **الطبقات الصوفية**. تح: أحمد الشرباصي، مصر، مؤسسة دار الشعب، ط2، 1998، ص: 28 .

[7]- إحسان الهي ظهير، المرجع السابق، ص: 24 .

يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد والخلوة للعبادة"[1]، وعرفه الإمام الغزالي[2] بقوله: "إنه التجريد لله، واحتقار لمن سواه"، ومعنى الاحتقار إن لا يطلب من أحد الناس نفعا ولا ضررا لان ماعدا الله فقير وضعيف[3].

ويمكن ضبط مصطلح التصوف في تعريف شامل وهو "إنه حركة دينية انتشرت في العالم الإسلامي في القرن الثالث للهجرة بحيث تدعوا هذه الحركة للزهد والعبادة بإسهاب قصد التعبير عن الابتعاد عن الشهوات في الترف، وبمرور الزمن تغيرت وتطورت تلك الحركات لتصبح عبارة عن طرق تسير وفق عقائدها ومناهج مختلفة[4].

ب- مراحل تطور التصوف في المشرق:

لقد اختلفت الآراء في ظهور هذه الكلمة، واستعمالها ،كاختلافهم في أصلها وتعريفها، فذكر ابن تيمية وابن لجوزي وابن خلدون في هذا، فلفظ الصوفية لم يكن مشهورا في القرون الثلاثة الأولى، وإنما اشتهر التكلم به بعد ذلك، وقد نقل التكلم به عن غير واحد من الأئمة والشيوخ كالإمام أحمد بن حنبل، وأبو سليمان الداراني وغيرهما[5]، وقال ابن الجوزي: "كانت النسبة في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإيمان والإسلام، فيقال مسلم ومؤمن، ثم حدث اسم زاهد وعابد، ثم نشا أقوام تعلقوا بالزهد والتعبد فتخلوا عن الدنيا وانقطعوا إلى العبادة واتخذوا في ذلك طريقة تفردوا بها، وأخلاقا تخلقوا بها ورأوا بأن أول من انفرد به بخدمة الله سبحانه وتعالى عند بيته الحرام رجل يقال له "صوفة"، واسمه الغوث بن مر، فانتسبوا إليه لمشابهتهم إياه في الانقطاع إلى الله سبحانه وتعالى فسموا بالصوفية..."[6].

المرحلة الأولى: مرحلة الزهد

---

[1]- ابن خلدون عبد الرحمن، شفاء **السائل وتهذيب المسائل**. تح: محمد مطيع الحافظ، دمشق، دار الفكر، ط2، 1996م، ص40

[2]- الغزالي (450-505هـ/1059م-1112م): هو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي، يكنى بأبي حامد، ويلقب بزين الدين، قال عبد الغافر الفارسي: حجة الإسلام والمسلمين، وإمام أئمة الدين لم تر العيون مثله لسانا وبيانا، ومنطقا وناظرا، وذكاء وطبعا. ينظر: السبكي تاج الدين، **طبقات الشافعية**. ج: 2، تح: الحلو محمد عبد الفتاح والطنطاوي محمود محمد، بيروت، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1383 هـ/1964 م، ص: 343.

[3]- إحسان الهي ظهير، المرجع السابق، ص: 26.

[4]- آنا ماري شيمل، **الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف**. تر: محمد إسماعيل السيد رضا حامد قطب، بغداد، منشورات الجمل، ط2، 2006، ص: 28.

[5]- إحسان الهي ظهير، المرجع السابق، ص: 40.

[6]- ابن الجوزي، المصدر السابق، ص: 145.

وهي واقعة في القرنين الأول والثاني للهجري، كان هناك أفراد من المسلمين أقبلوا على العبادة وكانت لهم طريقة زهدية في الحياة تتصل بالمأكل والملبس والمسكن، وأرادوا العمل من أجل الآخرة، كالحسن البصري مثلا[1]، وقال سراج الطوسي في الباب الذي خصه للرد على من قال: لم نسمع بذكر الصوفية في القديم وهو اسم مستحدث، يقول في هذا الباب :" إن سأل سائل فقال: لم نسمع بذكر الصوفية في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم أجمعين، ولا فيمن كان بعدهم، ولا نعرف إلا العباد والزهاد والسياحين والفقراء، وقيل لأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم صوفي فنقول وبالله التوفيق...وأما القائل انه اسم محدث أحدثه البغداديون[2].

وهذا محال لأن في وقت الحسن البصري رحمه الله كان يعرف هذا الاسم، وكان الحسن قد أدرك جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم، وقد روي عنه أنه قال:"رأيت صوفيا في الطواف فأعطيته شيئا فلم يأخذ وقال معي أربعة دوانيق يكفوني ما معي"، وروي عن سفيان الثوري رحمه الله انه قال :" لولا أبو هاشم الصوفي ما عرفت دقيق الرياء"[3]، وقال القشيري: "اشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المائتين من الهجرة"[4]. وأما المستشرقون الذين كتبوا عن التصوف، ويعدون من موالي الصوفية وأنصارهم فمنهم نيكلسون يرى بأن لفظ التصوف أطلق على أبي هاشم الكوفي المتوفى سنة 150هـ/768م[5]، ويقول المستشرق الفرنسي ماسينيون (Massignon): "ورد لفظ الصوفي لأول مرة في التاريخ في النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي إذ نعت به جابر بن حيان، وهو صاحب كيمياء شيعي من أهل الكوفة، له في الزهد مذهب خاص وأبو هاشم الكوفي الصوفي المشهور"[6].

---

[1]- الحسن البصري (21-110هـ/601م-728م): هو الحسن بن أبي الحسن يسار أبو سعيد مولى زيد بن ثابت الأنصاري، كانت أمه مولاة لأمة مسلمة، وكانت أم سلمة تخرجه إلى أصحاب رسول الله صلى الله علي وسلم وهو صغير، فكانوا يدعون له، فأخرجته إلى عمر فدعا له قال: "اللهم فقهه في الدين وحببه إلى الناس". ينظر: ابن كثير، **البداية والنهاية**. ج: 9، تح: هيئة بإشراف الناشر، بيروت، مكتبة المعارف، ط8، 1410هـ/ 1990م، ص: 161.

[2]- الطوسي أبو نصر سراج، **اللمع**. تح: عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، مصر، دار الكتب الحديثة، 1960، ص: 34.

[3]- الطوسي، المصدر السابق، ص: 34.

[4]- القشيري، المصدر السابق، ص: 53.

[5]- رينولد نيكلسون، **التصوف الإسلامي وتاريخه**. تر: أبي العلاء العفيفي، القاهرة، دار الكتب الحديثة، 1999، ص: 3 .

[6]- إحسان الهي ظهير، المرجع السابق، ص: 42 .

والخلاصة أن الجميع متفقون على حداثة هذا الاسم، وعدم وجوده في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والسلف الصالحين[1]، ولم يظهر التصوف مذهبا ومشربا، ولم يرج مصطلحات الخاصة به، وكتبه، ومواجيده وأناشيده، تعاليمه وضوابطه، وأصوله وقواعده، وفلسفته، ورجاله وأصحابه إلا في القرن الثالث من الهجرة وما بعده[2].

المرحلة الثانية: مرحلة التدعيم

كان الاهتمام فيها منصبا على أصول التصوف وشرائطه ومعانيه، فيذكر ابن عبد الله التستري (ت:283هـ/897م)[3] "إن الصوفي تلزمه ثلاثة أشياء:حفظ سره وأداء فرضه وصيانة فقره"، وذكر أيضا أن أصول التصوف سبعة: التمسك بكتاب الله والاقتداء بسنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأكل الحلال وكف الأذى واجتناب الآثام والتوبة وأداء الحقوق"، وتمتد مرحلة التدعيم لتشمل الجنيد المتوفى الذي وصفه ابن تيمية بأنه سيد طائفة الصوفية[4]، وقد قام الجنيد بتسجيل تعاليم ذي النون المصري وترتيبها، حتى أصبحت الأساس الذي بني عليه الصوفية جميعا، وخطى التصوف على يده خطوات واسعة، إذ صاغ المعاني الصوفية وشرحها كتابة، وكان يعلم التصوف سرا في السراديب وفي بيوت خاصة، وتتلمذ عليه عدد من إعلام التصوف اللاحقين من عمرو بن عثمان المكي، وأبي بكر الاشبيلي، وأبي بكر بن سعدان[5].

المرحلة الثالثة: مرحلة الشطط

وهي المرحلة التي يمكن القول بابتدائها على يد الحسين بن منصور الحلاج (قبل سنة 309هـ/922م) الذي غلى بالتصوف في أقوال مبهمة وتهويمات غامضة وقال بالحلول بمعنى حلول الله في الإنسان وسائر المخلوقات، فلم يرضى عنه احد من المسلمين حتى مشايخ الصوفية أنفسهم، فكان منهم من أنكر قوله وردوه،

---

[1]- أبو الوفاء الغنيمي التافتازاني، **مدخل إلى التصوف الإسلامي**. القاهرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط3، 1979، ص: 19.

[2]- إحسان الهي ظهير، المرجع السابق، ص: 45 .

[3]- التستري عبد الله (ت:283هـ/818 م): هو سهل بن عبد الله ابن يونس شيخ العارفين، أبو محمد التستري، الصوفي الزاهد بن عصام، شيوخه ذا النون المصري، إدريس بن أبي خولة الأنطاكي. ينظر: الذهبي شمس الدين، المصدر السابق، ج: 13، ص 330.

[4]- أبو الوفاء الغنيمي التافتازاني، المرجع السابق، ص: 82.

[5]- ابن الجوزي، المصدر السابق، ص: 165.

واتهم بالزندقة وحاكموه بالإعدام[1]. ويبدوا أن أقوال الحلاج في أمثاله من أهل الشطط قد أدت إلى اشتداد معارضة أهل السنة للتصوف وإنكارهم للبدع الصوفية مما أساء إلى الحركة الصوفية وفتح وجهها في العالم الإسلامي[2].

فنهض عدد من معتدلي التصوف لتحسين وجه التصوف وبذلوا في ذلك جهودهم[3]، ويعد كتاب التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع نموذجا لتزايد هجوم أهل السنة على التصوف لأبي الحسن الملطي (ت: 377هـ/988م)[4]، لكن الصوفية المعتدلين الدفاع عن نزعتهم مظهرين تمسكهم بالشريعة ومستهجنين أغلاط المخطئين من المتصوفة، وكتبوا في ذلك عدة كتب كان هدفها جميعا تحسين صورة التصوف أمام معاصريهم. وكان من أقدم من قاموا بذلك من المتصوفة السراج الطوسي الذي كان معاصرا لأبي الحسن الملطي، وتوفي بعده بعام واحد، فكتب كتاب اللمع في التصوف، وعاصره الكلابادي الذي توفي بعده بعامين وكتب كتاب التعرف لمذهب أهل التصوف[5]، والرسالة القشيرية التي وجهها أبو القاسم القشيري إلى معاصريه، لكن أبرز وأنجح محاولة للتوفيق بين مذهب أهل السنة والتصوف كانت تلك التي قام بها حجة الإسلام أبو حامد الغزالي، والتي يرى البعض إنها غيرت من مجرى التصوف الإسلامي فقد أرسى قواعده[6].

والتصوف السني الذي يعني بالجانب الخلقي التربوي في العالم الإسلامي ورفض أنواع التصوف الأخرى كتصوف الحلاج القائم على فكرة الحلول وتصوف البسطامي[7] الذي يعلن فيه الاتحاد[8]، لتأتي المرحلة التي تبدأ تبدأ في القرن السادس الهجري وتمتد بعد ذلك محددة ملامح الحركة الصوفية في القرون التالية متمثلة في اتجاهين رئيسيين: أولهما اتجاه نظري فلسفي يعد محي الدين ابن عربي معلمه الأشهر، وثانيهما اتجاه عملي منظم يتمثل في

---

[1]- أبو الوفاء التافتازاني، المرجع السابق، ص: 83.

[2]- عبد القادر عيسى، **حقائق عن التصوف**. ط1، حلب، دار العرفان، ط1، 1428هـ/2007 م، ص: 454.

[3]- أبو الوفاء التافتازاني، المرجع السابق، ص 83

[4]- عبد القادر عيسى، المرجع السابق، 456

[5]- إحسان الهي ظهير، المرجع السابق، ص: 47

[6]- عبد الكريم العثمان، **سيرة الغزالي وأقوال المتقدمين فيه**. تق: أحمد فؤاد الأهواني، دمشق، دار الفكر، ص: 8.

[7]- البسطامي (188-261هـ/768م-841 م): هو أبو يزيد طيفور بن عيسى بن سروشان، عابد زاهود، من أصحاب الأحوال من أهل بسطام بلد على الطريق إلى نيسابور، توفي سنة 261هـ وقيل 284هـ. ينظر: السلمي أبو عبد الرحمن، المصدر السابق، ص: 24.

[8]- أبو الوفاء التافتازاني، المرجع السابق، ص: .87

الطرق الإخوانية الجماعية المنظمة والمعروفة اصطلاحا بالطرق الصوفية والتي تمثلت بواكيرها في الطريقة القادرية الجيلانية التي أسسها عبد القادر الجيلاني والطريقة الرفاعية التي أسسها أحمد الرفاعي (ت:578هـ/1183م)[1].

2- التصوف ببلاد الغرب الإسلامي:

تطور الزهد في بلاد المغرب مؤديا إلى التصوف على نحو ما حدث في المشرق الإسلامي، وكما أنه لم يكن من اليسير تحديد بداية قاطعة لبدء التصوف في المشرق الإسلامي، فإن تحديد مثل هذه البداية للتصوف في بلاد المغرب أشد صعوبة وأبعد منالا[2]. وترجع صعوبة تحديد بداية قاطعة لظهور التصوف في بلاد المغرب إلى عدة عوامل، منها اختلاط المتصوفة بالزهاد اختلاطا شديدا في بلاد المغرب وقت ظهور التصوف فيها، واستمرار تواجد الزهاد بعد ظهور التصوف وتشابه كثير من أنشطة الزهاد والمتصوفة المغاربة الأوائل وحركتهم في الحياة المغربية جنبا إلى جنب، مما يجعل من العسير التمييز بينهم في كثير من الأحيان لاسيما وأن المغاربة كانوا يستخدمون مسميات واحدة للدلالة على كل من الزهاد والمتصوفة وقتذاك، فكانوا يطلقون على سبيل المثال مسمى العباد على الفريقين معا، وينعتوهم بكثير من الصفات المشتركة كالصلاح والدرع والاجتهاد في العبادة، بل ويسعون الولاية[3] على نفر من الفريقين دون تفرقة، فعلى سبيل المثال لابد أن نميز عابدا مثل أبي سنان زيد بن سنان الأسدي هل هو من الزهاد أم المتصوفة، فقد وصف بأنه كان ذكيا ثابتا زاهدا ورعا وليا من أولياء الله تعالى[4].

إلا أنه رغم الصعوبات يمكن القول أن بداية التصوف في بلاد المغرب الإسلامي لم تتأخر كثيرا عن مثيلاتها في المشرق الإسلامي، إذ اتسعت ماهية الزهد في المغرب تدريجيا نتيجة التصاعد الذي الم بالظروف والعوامل التي نشا عنها الزهد في تلك النواحي، ومن ثم تصاعد بدوره مؤديا إلى التصوف في البلاد على نحو كبير

---

[1]- عبد القادر عيسى، المرجع السابق، ص: 458.

[2]- محمد بركات البيلي، **الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والأندلس حتى القرن الخامس الهجري**. القاهرة، دار النهضة العربية، 1993، ص: 90.

[3]- الولاية: هي قيام العبد بالحق عند الفناء عن نفسه، وذلك بتولي الحق إياه حتى يبلغه غاية مقام القرب والتمكن. ينظر: الكاشاني عبد الرزاق، **الاصطلاحات الصوفية**. تج: عبد العال شاهين، القاهرة، دار المنار للطبع والنشر والتوزيع، ط1، 1992م، ص: 54.

[4]- الدباغ أبو زيد عبد الرحمن الأنصاري الأسيدي، **معالم الإيمان في معرفة أهل قيروان**. ج: 2 ، تج: محمد الأحمدي أبو النور النور ومحمد ومحمد ماضور، تونس، المكتبة العتيقة، د.ط، د س ن، ص: 108

الشبه بما حدث في المشرق الإسلامي، ويلوح هذا التصاعد التدريجي في الأفق المغربي منذ نهاية القرن الثاني الهجري مواكبا مثيله في المشرق الإسلامي[1].

فقد وصف بعض عباد المغرب الذين ينتمون إلى القرن لثاني هجري بأوصاف تجعلهم اقرب إلى المتصوفة من الزهاد، منهم البهلول بن راشد وحده هو الذي أصبغت عليه الوتدية، وإنما أصبغت على أبي حفص عمر بن عبد الله القتال مرتجة "البدلية"[2]، إذ وصف بأنه من الإبدال الأصغياء المحببين، وأنه ما رئي ضاحكا ولا مضطجعا حتى مات[3]، ووصف أبو عيسى مروان بن عبد الرحمن اليحصبي الملقب بسكر الناظرين بأنه كان ناسكا وقد كان في نفس طبقة البهلول بن راشد من أوائل عباد المغاربة تخلى عن الدنيا وتجرد منها وسلك طريق أهل الصدق في الانقطاع إلى الله عز وجل، وسواء اعتبر ذلك بداية التصوف في المغرب أو مجرد إرهاصات به فانه يطالعنا أول تلقيب لمغربي يسكن بلاد المغرب بلقب صوفي في ترجمة أبي سليمان داود بن يحي الصوفي سنة 249هـ/864م الذي كان ثقة مأمونا صالحا فقيرا لم تكن له رحلة إلى المشرق، من ثم فإن تصوفه لم يكن نتيجة رحلة إلى المشرق، وإنما كان تصوفه مغربيا محليا، يمكن اعتباره بداية حاسمة للتصوف المغربي[4]، وربما كان من أسباب تصعيد الزهد إلى التصوف في بلاد المغرب هو ما حظي به العباد والزهاد من تقدير العامة لهم إضفائهم الولاية على بعضهم مما كان سببا في تغلغل بعض الزهاد في نزعة الزهد[5].

ويعتبر أبو عمران الفاسي أول من أدخل تعاليم الجنيد إلى إفريقيا، أما عن وصول المؤلفات الصوفية تشير إليه المصادر إلى حصن المغربي عبد العزيز التونسي (ت:486هـ/1094م)، الذي دعى مريديه إلى قراءة الرعاية للمحاسبي، وكان هذا في أواسط القرن الخامس قبل أن يصل كتاب الأحياء[6].

وظل التصوف بالمغرب الإسلامي متأثرا بالتصوف المشرقي في البداية حتى إن المدارس الصوفية الأولى التي ظهرت بالمغرب كانت نتاج التصوف المشرقي مثلما يتجلى ذلك عند أبي يعزي يلنور (ت:572هـ/1177م) الذي

---

[1]- محمد بركات البيلي، المرجع السابق، ص ص: 93- 94.

[2]- البديلة: إحدى المراتب في الترتيب الطبقي للأولياء عند الصوفية. ينظر: المرجع نفسه، ص: 22.

[3]- محمد بركات البيلي، المرجع السابق، ص: 95.

[4]- عبد المنعم القاسمي الحسني، **أعلام التصوف في الجزائر من البداية إلى غاية الحرب العالمية الأولى**. الجزائر، دار الخليل القاسمي، ط1، 2006 م/1427هـ، ص ص: 28-29.

[5]- محمد بركات البيلي، المرجع السابق، ص: 97.

[6]- محمد بركات البيلي، المرجع السابق، ص: 98

يعتبر من كبار العارضين إن لم يكن شيخهم، قال عنه أبا مدين: "رأيت أخبار الصالحين من زمان أويس القرني إلى زماننا هذا فما رايتا عجب من أخبار أبي يعزي..."[1].

ومن الذين كان لهم الفضل في ذيوع التصوف ببلاد المغرب أبو مدين شعيب بن حسين الأنصاري، أخذ الخرقة على يد أبي يعزي، ورحل إلى الحج فالتقى بالشيخ عبد القادر الجيلاني في جبل عرفات وأخذ عنه بل أطلعه على كثير من أسراره[2]. انتشرت طريقته الدينية في بلاد المغرب وتخرج على يديه ألف عالم وولي ليأتي الدور على أبي الحسن الشاذلي الذي رحل إلى العراق بحثا عن أبو الفتح الواسطي، إلى أن همس في أذنه أحدهم ناصحا له أن يعود إلى بلاده، فإنه سيجد مبتغاه بها، وعاد إلى المغرب والتقى بعبد السلام بن مشيش الذي أصبح شيخه، وأخذ عنه واستمع لنصائحه، ثم انتقل إلى المشرق تحديدا في مصر وأسس طريقته المعروفة باسمه الطريقة الشاذلية، والتي انتشرت في المغرب الإسلامي على يد تلاميذه، من أبرزهم أبو العباس المرسي[3].

3- دخول الإسلام إلى السودان الغربي:

التعريف ببلاد السودان الغربي:

إن مصطلح السودان الغربي لم يظهر إلا في العصر الوسيط، حينما تم اكتشاف أن منابع نهر النيل ونهر النيجر منفصلان عن بعضهما البعض[4]، وعرف الرحالة والجغرافيون والمؤرخون المسلمون السودان الغربي، من بينهم الزهري الذي سمى أرض السودان بأرض الجناوة، وحددها غربا بالبحر الأعظم (المحيط الأطلسي)، وشرقا بآخر بلاد وارجلان إلى آخر بلاد المرابطين، وشمالا من بلاد أميمة[5] في بلاد أزقي[6] وجنوبا آخر بلاد النول من

---

[1]- التادلي أبو يعقوب يوسف بن يحي، **التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي**. تج: أحمد التوفيق، الرباط، منشورات كلية الآداب، ط2، 1997، ص ص: 214-215.

[2]- المصدر نفسه، ص: 319.

[3]- مأمون غريب، **أبو الحسن الشاذلي: حياته، تصوفه تلاميذه وأوراده**. القاهرة، دار الغريب للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، 2000م، ص: 14.

[4]- بناني عثمان، "**السودان الغربي عند ابن بطوطة**". مجلة دعوة الحق، ع : 6، 29 ماي، 1988، ص: 4.

[5]- أميمة: عرفت كذلك بميمة وهي قرية كبيرة أطراف نهر النيجر تقع مابين مالي وتنبكتو. ينظر: ابن بطوطة، **تحفة النظار في غرائب الأمصار**. شرحه وكتب هوامشه: طلال حرب، بيروت، دار المكتبة العلمية، ط4، 1428هـ/2007، ص: 699.

[6]- أزقي: تسمى أيضا ازكي وهي مدينة من بلاد مسوفة وهي أول الصحراء، وهذه المدينة ليست بكبيرة لكنها متحضرة. ينظر: الشريف الإدريسي، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**. ليدن، مطبع بريل، 1863، ص: 60.

من بلاد السوس الأقصى[1]، بينما أطلق البكري كلمة السودان في القرن 5هـ/11م على جزء من غرب إفريقيا الذي يمتد من المحيط الأطلسي غربا إلى مشارف النوبة[2] على النيل شرقا، واعتبر مدينة سجلماسة[3] مدخلا إلى بلاد السودان[4]، أما ابن حوقل فقد حدد المنطقة بقوله: "وأما جنوبي الأرض من بلاد السودان فإن بلادهم في أقصى المغرب على البحر المحيط ملتف...غير أن له حدا ينتهي إلى البحر المتوسط وحدا له ينتهي إلى البحر المتوسط وجدالة ينتهي إلى برية بينه وبين أرض المغرب، وجدالة بينه وبين مصر على ظهر الواحات[5].

بعد الذي سبق ذكره نستنتج أن بلاد السودان الغربي يحدها شمالا الصحراء الكبرى، وشرقا الكاميرون وبحيرة تشاد، ومن الجنوب الشرقي الغابات الاستوائية، أما من ناحية الغرب فهي تتاخم المحيط الأطلسي، ومن الجنوب خليج غينيا، أي ما يعرف حاليا بمنطقة حوض السنغال وغامبيا وفولتا العليا والنيجر الأوسط والأعلى[6]. والأعلى[6]. أما الموقع الفلكي فهو محصور ما بين دائرتي عرض 11° و17° شمال خط الاستواء وخط طول 10° 10° شرقا و17° غربا. وتشمل حاليا كل من السنغال وغامبيا ومالي وموريتانيا وغينيا والنيجر، والساحل العلوي والداخلي لثلثي سيراليون وداخل ليبيريا؛ والمناطق الغربية والشمالية والشمالية الشرقية لبوركينا فاسو؛ والنصف الشمالي للدول الساحلية في نيجيريا وبنين وتوغو وغانا وساحل العاج[7].

3- تغلغل الإسلام إلى بلاد السودان الغربي وطرق انتشاره:

---

[1]- الزهري أبو عبيد الله بن محمد، **كتاب الجغرافيا**. تح: الصادق محمد الحاج، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، د.س.ط، ص: 125.

[2]- النوبة: تمتد على طول النيل جنوبا وأراضي مصر شمالا. ينظر: الحسن بن محمد الوزان الفاسي، **وصف إفريقيا**. ج: 2، تر: حجي عمار ومحمد الأخضر، لبنان، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1983م، ص: 179.

[3]- سجلماسة: مدينة في جنوبي المغرب في طرف بلاد السودان بينها وبين فاس عشر أيام، وأهل هذه المدينة من أغنى الناس وأكثرهم مالا لأنها على طريق غانة التي هي معدن الذهب. ينظر: ياقوت الحموي شهاب الدين أبو عبد الله الرومي البغدادي، **معجم البلدان**. مج: 3، لبنان، دار صادر، د.ط، د.س.ط، ص: 192.

[4]- البكري عبيد الله بن عبد العزيز بن عمرو، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**. القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، د.ط، د.س.ط، ص: 148.

[5]- ابن حوقل أبو القاسم محمد، **صورة الأرض**. منشورات دار مكتبة الحياة، لبنان، د.ط، 1992، ص: 24.

6- أحمد طاهر، **إفريقيا فصول بين الماضي والحاضر**. القاهرة، دار المعارف، د.ط، د.ت.ط، ص: 66.

7- باري محمد علي كريدية وسعيد إبراهيم، **المسلمون في غرب إفريقيا (تاريخ وحضارة)**. بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، ط1، 2007م، ص: 19.

إن الإسلام قديم في بلاد السودان الغربي قدم الصلات التجارية التي ترجع إلى أوائل القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي، فظاهرة اقتران الإسلام بالتجارة ظاهرة معروفة في إفريقيا جنوب الصحراء[1]، فقد اعتنقه تجار السودان الغربي وسكانه قبل فئة الحكام ورجال الحاشية نتيجة اتصالهم بأقرانهم من شمال إفريقيا، ويدعم هذا الرأي انتشار الإسلام في غانة بين الرعايا وانتشار بعض المظاهر الإسلامية مثل بناء المساجد قبل اعتناق الحكام لهذا الدين،كما كانت مالي تحتوي على جالية مسلمة يقوم بعض أفرادها بتعليم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والملك كان وثنيا، ولم يزهد الأمر فضول أصحاب المصنفات الذين تستند إليهم، في الوقت نفس كان اعتناق واحد من الحكام الإسلام لذلك لدينا معلومات أوفى عن إسلام الأسر الحاكمة دون الرعية [2]

دور التجارة:

لم يتأخر اتصال المسلمين بالسودان الغربي كثيرا بعد استقرارهم في شمال إفريقيا فيذكر ابن عبد الحكم أن عبيد الله بن الحبحاب[3] والي إفريقية أرسل حبيب بن أبي عبيدة الفهري في حملة فغزى السوس، وبلغ عرض السودان وحصل على كميات من الذهب وكان ذلك سنة 118هـ[4]. وكانت القيروان منذ القرن الثاني الهجري تمثل واحدا من المراكز الهامة للقاء القوافل التجارية، مما يدل على وجود نشاط تجاري بين المنطقتين منذ ذلك

[1]- البكري، المصدر السابق، ص: 175.

[2]- هربك ايفان، "**بروز الدولة الفاطمية** ". موسوعة تاريخ إفريقيا العام"، اليونسكو، 1994، ص: 276.

[3]- عبيد الله بن الحبحاب: وهو مولى بني سلول، وكان رئيسا نبيلا ، وأميرا جليلا قدم إفريقية في ربيع الآخر 116هـ/696 م، بنى بنى المسجد الجامع ودار الصناعة بتونس، تناهت به الحال إلى ولاية مصر والإفريقية والأندلس والمغرب كله. ينظر ابن عذارى المراكشي، **البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب**. ج: 1، تح: بشار عواد معروف وبشار عواد محمود، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1434هـ/2013م، ص: 81.

[4]- الخثلان سعود بن حمد، "**دور التجار المسلمين في رواج التجارة بين بلاد المغرب والسودان الغربي فيما بين القرنين 3 و4هـ/9 و11م**". مجلة جامعة الملك بن عبد العزيز، الآداب والعلوم الإنسانية، مج: 5، 1412هـ/ 1992م، ص3.

الوقت، وفي المغرب الأقصى تأسست مدينة سجلماسة سنة 140هـ/858م كعاصمة لدولة بني مدرار الخوارج[1]، وبرزت كمركز تجاري بالغ الأهمية للتجار بين بلاد المغرب والسودان الغربي[2].

ولما أسس بنو رستم عاصمتهم تاهرت بالمغرب الأوسط سنة 144هـ/861م وأنشئوا دولتهم كان للتجار الإباضيين دور بارز في اقتصاديتها، فقد بادروا بإقامة علاقة تجارية مع ممالك السودان الغربي وعلى الأخص مملكة جاو (كوكو) منذ أن تأسست تاهرت، وكان التجار الرستميين يفدون إلى جاو بقوافلهم التجارية الكبيرة، ولم تقتصر أعمال التجار المسلمين على اختلاف فئاتهم، على المهمات المؤقتة بل أقدم الكثير منهم على الاستقرار الدائم[3].

وقد أتخذ المسلمون لأنفسهم مكانا خاصا بهم قريبا من العاصمة فمن الوصف الذي أورده كل من المهلبي (ت:370هـ/770م) والبكري يتضح أن جاو كانت شبيهة عاصمة مملكة غانة، وأول مدينة دخلها التجار المسلمون في بلاد السودان الغربي هي مدينة غانة وهي أقوى وأهم الممالك في المنطقة، حيث يقول ابن خلدون: "ولما فتحت إفريقية والمغرب دخل التجار بلاد السودان فلم يجدوا فيها أعظم من ملوك... وكانوا أعظم أمة ولهم أضخم ملك وحاضرة ملكهم غانة..."، واستقر التجار المسلمون في حي خاص بهم قرب عاصمة هذه المملكة، ومع مرور الوقت أصبحت لهم مدينة خاصة بهم[4]، ويقول البكري في وصفه لغانة: "ومدينة غانة مدينتان سهليتان إحداهما المدينة التي يسكنها المسلمون وهي مدينة كبيرة فيها اثنا عشر مسجدا أحدهما يجمعون فيه (يؤدون صلاة الجمعة)..."[5]، فالمسلمون لم يأتوا إلى السودان بالسلع والمال فقط، بل حملوا معهم الإسلام كدين جديد على المنطقة تميز بمبادئه السامية وأنظمته المالية المنقاة من التحريم والربا والغش والاحتكار وتوضيح أنواع البيوع والديون، فكان لهذا أثره على السودانيين وبالتالي على موقفهم من المسلمين والذي تمثل في القبول وحسن

---

[1]- دولة بني مدرار: هي دولة أقامها الخوارج الصفرية في سجلماسة سنة 140هـ/757 م وكانت دولة داخلية صحراوية لم تسهم بدور مباشر في التيارات السياسية، واقتصر نشاطها على المشاركة في التجارة عبر الصحراء شمالا وجنوبا. ينظر إسماعيل محمود عبد الرزاقّ، **الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف ق 4 هـ**، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط2، 1406 هـ/ 1985 م، ص: 120.

[2]- الخثلان سعود بن حمد، المرجع السابق، ص: 4.

[3]- المرجع نفسه، ص: 8.

[4]- المرجع نفسه، ص: 2، 5.

[5]- البكري أبي عبيد، المصدر السابق، ص 175.

المعاملة، بل تطور الحال إلى أن بلغ المسلمون في مملكة غانة الوثنية مكانة عظيمة، حيث أن ملك غانة كان محبا للعدل وإن تراجمته وصاحب بيت ماله من المسلمين وكثير من وزرائه[1].

كما أنه يوجد مسجد في القسم الوثني من المدينة بالقرب من بيت حاكم غانة يقول البكري: "وفي مدينة الملك مسجد يصلي فيه من يفد إليه من المسلمين على مقربة من مجلس حكم الملك..."[2]، وهذا إن دل فإنه يدل على مظاهر إعزاز أهل غانة للمسلمين وتقديرهم لهم. فكان للتجارة دور هام في نشر الإسلام في غرب إفريقيا وخير مثال على ذلك ما قاله أرنولد توماس: "أن التجارة والإسلام في غربي إفريقيا مرتبطان كل الارتباط..."[3].

وذلك على الرغم من الحواجز الطبيعية التي كانت تفوق الوصول إلى قلب القارة إلا أنه كان هناك مراكز تجارية بمثابة موانئ يتوقف عندها المسفرون عبر الصحراء، وكان للتجار دور بارز وذلك من خلال احتكاك هؤلاء التجار بالسكان الأصليين (الزنوج)[4]، وكثير ما ينتهي هذا الاحتكاك بدخول هؤلاء الزنوج في دائرة الإسلام[5]، وذلك من خلال الصفات التي يتميز بها التاجر المسلم الذي يجمع بين التجارة ونشر الإسلام وإذا ما دخل هذا التاجر قرية وثنية سرعان ما يلفت الأنظار إليه لكثرة وضوئه وانتظام أوقت صلاته[6]. كما نجد هؤلاء التجار يقومون باصطحاب الفقهاء معهم من أجل تعليم وتثقيف الناس أمور دينهم ودنياهم، على الرغم من التباين الموجود بين التاجر والداعي إلا أنهما بذلا معا مجهودا مضنيا في سبيل نشر الدين وإعلاء كلمة الحق[7].

ب- دور المرابطين:

لم يكن المرابطون أول من أدخل الإسلام إلى بلاد السودان الغربي في 5هـ/11م كما هو متواتر، بل إن الإسلام وصل إلى تلك البقاع في القرن نفسه الذي ظهر فيه وهو القرن السابع ميلادي[8]، فقط أشار البكري إلى

---

[1]- الختلان سعود بن حمد، المرجع السابق، ص 06.

[2]- البكري أبي عبيد، المصدر السابق، ص 175.

[3]- أرنولد توماس، **الدعوة إلى الإسلام**. تر: حسن إبراهيم حسن، د.ط، مكتبة النهظة المصرية، 1970 م، ص: 371.

[4]- قاسم جمال زكريا، **الأصول التاريخية في العلاقات العربية الإفريقية**. القاهرة، دار الفكر العربي، ط1، 1998م، ص: 55

[5]- فنسان منتاي، **الإسلام في إفريقيا السوداء**. تر: إلياس حنا، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر، ط1، 1983م، ص: 61.

[6]- الفيتوري عطية مخزوم، **دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء**. بنغازي، منشورات جامعة قار يونس، ط1، د.ت.ن، ص: 103.

[7]- قاسم جمال زكريا، المرجع السابق، ص: 156.

[8]- طرخان إبراهيم علي، **إمبراطورية البورنو الإسلامية**. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1975م، ص: 65.

إلى وجود اثنا عشر مسجدا في مدينة "كومبي صالح" بغانة، كما أن إمبراطورية أودغست الإسلامية التي أسسها السوننك إحدى فروع الماندنجو، قامت بدور في نشر الإسلام منذ القرن التاسع ميلادي ومع أن حكام أودغست من البربر البيض من قبيلة صنهاجة إلا أن سكانها ومؤسسيها من السوننك السوداني، وأبو الفداء: "وهي براري سودان المغرب"[1]، ورغم ذلك يرجع الفضل للمرابطين في تثبيت الإسلام بالمنطقة ونشر المذهب المالكي وتفوقه على بقية المذاهب الأخرى[2].

يقول ابن خلدون: "ثم إن أهل مالي كثروا أمم السودان في النواحي تلك واستطاعوا إلى الأمم المجاورين لهم فغلبوا على صوصو وملكوا جميع ما بأيديهم من ملكهم القديم وملك أهل غانة إلى البحر المحيط من ناحية الغرب وكانوا مسلمين يذكرون أول من أسلم منهم ملك إسمه برامندانة...وحج هذا الملك واقتفى سنته في الحج بعده"[3]، بعده"[3]، ويقول ماحي سيد مؤرخ مالي إن الإسلام انتشر في مالي على أيدي فقهاء لمتونة في بداية القرن 5هـ/11م أي المرابطين، ويتبين من كلامه أن الإسلام إنما انتشر في مالي عن طريق الفقهاء وبلا قتال، أما شخصية الملك برمندانة فهناك شخصان يحملان هذا الاسم من بين ملوك مالي أحدهما من أسرة الكونانتين، التي سبقت أسرة كيتا في حكم مالي، وتلك هي شخصية مانسا برمندانة الذي كان يعيش في القرن 11م عاصر المرابطين، وحج هذا الملك حوالي سنة 545هـ/1050م، وربما كان اسم برمندانة من أسرة كيتا التي تؤرخ لقيامها في عرش مالي بحوالي عام 545هـ/1150م وتلك هي شخصية موسى ريجيو الذي كان يحكم مطلع القرن الثالث عشر ميلادي والذي اشتهر باسم الأكوري، وكذلك باسم سريندانة الذي قد يكون محرفا إلى برمندانة[4].

والمعروف أن المرابطون لم يقتصر دورهم على نشر الإسلام بين الوثنيين بل شمل أيضا إصلاح عقيدة المسلمين الذين اعتنقوا الإسلام ولم يلتزموا بأحكامه فلم يكونوا مسلمين في نظر المرابطين[5]، واتجهت حركتهم بعد بعد ذلك للجهاد في بلاد السودان في حياة ابن ياسين، وفي زمن إمارة أبي بكر بن عمر اللمتوني (ت:1087م)

---

[1]- أبو الفداء عماد الدين، **تاريخ أبي الفداء**. ج: 2، المطبعة الحسينية المصرية، ط1، د.ت.ن، ص: 72.

[2]- شعباني نور الدين، "**التواجد المذهبي في السودان الغربي بين القرنين الخامس والعاشر للهجرة**". دورية كان التاريخية، ع: ع: 18، ديسمبر 2012. ص: 36.

[3]- ابن خلدون عبد الرحمان، **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في التاريخ العربي والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**. ج: 6، تح: الكرمي أبو صهيب، بيروت، ط4، 2000 م، ص: 310

[4]- طرخان إبراهيم علي، المرجع السابق، ص: 49، 65.

[5]- طرخان إبراهيم علي، **دولة مالي الإسلامية**. القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1975 م، ص: 42.

وكانت تعاليم المرابطين قد اجتذبت الكثير من زعماء التكرور والماندنجو، واحتلوا بعد ذلك مدينة كومي صالح عاصمة غانة عام 1076م وعينوا عليها حاكما مسلما[1].

ويقول القلقشندي: "فلما أسلم الملثمون، تسلطوا عليهم (أي على ملوك السودان) بالغزو حتى دان الكثير منهم بالإسلام"[2]، ولم يكتف المرابطون بالتحول الأسمى للإسلام بل أرسلوا العلماء بين القبائل السودانية لبث العقيدة الصحيحة، وبفضل هذه الصلات التجارية والثقافية بين بلاد السودان وبين العالم الإسلامي[3].

وجاء انتشار الإسلام بصورته الواسعة في صنغاي إبان حركة المرابطين التي خدمت الإسلام في البلاد التي سقطت في أيديهم والمناطق الأخرى المجاورة، فازداد عدد الداخلين في العقيدة الإسلامية بفضل المرابطين وجهودهم العظيمة في نشر الإسلام، ولعل ظهورهم كقوة إسلامية كبرى في بلاد السودان الغربي قد ساعد على انتشار الإسلام بين العامة والخاصة من شعب صنغاي، ويذكر أن الملك الأول الذي اعتنق الإسلام سمي ضياء كوسوي سنة 1009م وذلك قبل جهاد المرابطين[4]، ومع أن ملوك صنغاي دخلوا الإسلام مطلع القرن 5هـ/11م، فإن سكان صنغاي لم ينتشر بينهم الإسلام إبان حركة المرابطين، وحتى المرابطون لم يدخلوا صنغاي ولكن حركتهم دفعت الإسلام للتقدم حتى خارج حدودهم[5].

---

[1]- المرجع نفسه، ص: 49.

[2]- القلقشندي أحمد أبي العباس، **صبح الأعشى في صناعة الأنشا**. ج: 6، تح: محمد حسين شمس الدين، القاهرة، دار الكتب الخديوية، د.ط، 1333هـ/1915م، ص: 293.

[3]- دندش عبد اللطيف عصمت، **دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا(430-515هـ/ 1038-1121م)**. بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1988م، ص: 159.

[4]- محمد صلاح آدم، **قيام دولة المرابطين ودورها في نشر الإسلام في السودان الغربي (448-541هـ/1056-1147م)**. رسالة ماجستر غير منشورة في تاريخ الإسلام، جامعة النيلين كلية الدراسات العليا، الإسكندرية، 1438 هـ/2017 م، ص: 75.

[5]- المرجع نفسه، ص: 76.

الفصل الأول

التصوف والطرق الصوفية في السودان الغربي (القادرية والتيجانية نموذجا)

المبحث الأول: الطريقة القادرية في السودان الغربي

1. **مؤسسة الطريقة بالمشرق وتطورها.**
2. **تأسيس الطريقة القادرية.**
3. **إنشارها ببلاد السودان الغربي.**
4. **فروعها وشيوخها في السودان الغربي**

المبحث الثاني: ظهور التصوف في السودان الغربي

1. **الشيخ المغيلي والأبوة الفكرية للتصوف في السودان الغربي.**
2. **نشاطه الدعوي بالسودان الغربي**

المبحث الثالث: الطريقة التيجانية في السودان الغربي.

1. **التعريف بمؤسس الطريقة التيجانية في السودان الغربي.**
2. **إنشار الطريقة التيجانية في السودان الغربي.**
3. **فروعها بالسودان الغربي.**

المبحث الأول: الطريقة القادرية في السودان الغربي

1- مؤسس الطريقة بالمشرق وتطورها:

أ- **المولد والنشأة:**

محيي الدين أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح عبد الله بن جنكي دوست[1] بن أبي عبد الله بن يحي الزاهد بن محمد بن داود بن موسى بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحض الجيلي الحنبلي شيخ بغداد[2]، ويلقب أيضا لابن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب بالمحل بن الحسن المثنى بن الحسن رضي الله عنه، وبعض الناس ينكر نسبه إلى علي بن أبي طالب، ويبدو أن الصحيح صحة نسبه إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه لضعف أدلة الطاعنين وندرتهم وقوة أدلة المثبتين وكثرتهم[3]، وتكاد تجمع كتب السير والتراجم على أن كنيته أبو محمد ونسبه الجيلاني أو الجيلي مولده بجيلان[4] في 471هـ/1079م[5].

رحل عبد القادر الجيلاني من جيلان إلى بغداد التي دخلها سنة 488هـ، وعمره ثماني عشر سنة، والتقى فيها ببعض العلماء الذين أخذ عنهم العلم، ووصفه ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة بأنه: شيخ العصر وقدوة العارفين وسلطان المشايخ صاحب المقامات والكرامات والعلوم والمعارف، وأمضى في طلب العلم 32 سنة درس فيها مختلف علوم الشريعة ثم جلس للتعليم والوعظ سنة 520هـ/1127م[6].

ب- **شيوخه:**

أبو سعيد المبارك بن علي المخزومي: شيخ الحنابلة، من مدرسة باب الأزج درس بها تلميذه عبد القادر بعد أن طورها وادخل عليها بعض التوسعة في التجديد[7].

---

[1]- ابن أبي يعلى محمد، **طبقات الكناية**. ج: 2، تح: عبد الرحمان بن سليمان العثيمين، المملكة السعودية، مطبعة السنة المحمدية، 1999، ص: 459

[2]- الذهبي شمس الدين، المصدر السابق، ج: 20، ص: 439.

[3]- ابن كثير الدمشقي، **البداية والنهاية**. ج: 6، تح: محمد تامر وآخرون، القاهرة، دار البيان العربي، 2006، ص: 635.

[4]- **جيلان:** قرية قرب المدائن جنوب بغداد وليس التي بأرض طبرشات. ينظر: الشنطوفي نور الدين أبي الحسن، **بهجة الأسرار ومعدن الأنوار**. تج: جمال الدين فالح الكيلاني، بغداد، الطبعة الماجستيرية، 2010، ص: 34.

[5]- المصدر نفسه، ص: 119.

[6]- محمد الداه أحمد، **القادرية في موريتانيا**. رسالة ماجستير غير منشورة، قسم العقيدة كلية أصول الدين، جامعة أم القرى مكة المكرمة، 1412هـ/1992م، ص: 38.

[7]- الذهبي شمس الدين، المصدر السابق، ج: 20، ص: 441.

أبو الوفاء علي بن عقيل بن عبد الله البغدادي: الإمام العلامة البحر شيخ الحنابلة المتكلم صاحب التصانيف، ولد سنة 431هـ/1140 م، كان بحرا في المعارف لم يكن له في زمانه نظير[1].

حماد بن مسلم الدباس: انتهت إليه رياسة تربية المريدين، انتمى إليه معظم مشايخ بغداد[2]، كان الشيخ عبد القادر من تلامذته وأثنى ابن تيمية على الجيلاني وشيخه حماد حيث قال: "فأمر الشيخ عبد القادر وشيخه حماد دباس وغيرهما من المشايخ أهل الاستقامة رضي الله عنهم، بأنه لا يريد السالك مرادا قط وأنه لا يريد مع إرادة الله عز وجل سواها بل يجري فعله فيكون هو مراد الحق"[3]، وأخذ عنه الجيلاني الطريقة وعلم الصوفية[4].

2- تأسيس الطريقة القادرية:

أ- تعريف الطريقة:

لغة: السير وطريقة الرجل مذهبه يقال مازال الرجل على طريقة واحدة أي على حالة واحدة، وفلان حسن الطريقة والطرية الحال، يقال: هو على طريقة حسنة وطريقة سيئة[5].

في الاصطلاح الصوفي:

هي السيرة المختصة بالسالكين إلى الله من قطع المنازل والترقي في المقامات، وعند أبي طالب المكي: إنها بمعنى السنة المباركة فيقال عند الصوفية طريق وطريقة وسنن وسنة وحجة ومحجة، وقيل: هي التقلل من الدنيا في كل شيء والتواضع في كل شيء[6]. وسميت الطريقة بالقادرية نسبة إلى مؤسسها عبد القادر الجيلاني الذي عمل على تنظيمها بشكلها الجماعي وجمع المريدين وربطهم بمشايخ الطريقة لتأديبهم وتربيتهم، حيث كان التصوف يقوم على أساس فردي لا أثر للتجمع فيه[7]، ولعله لاحظ إقبال الناس في عصره على العلم مع التهاون وعدم الاهتمام بالعمل فاجتهد رحمه الله لتربيتهم العمل بما علموه، ورأى أن ذلك لا يتحقق إلا من خلال طريقة تنظم

---

[1]- درنيقة محمد أحمد، **الطريقة القادرية وأعلامها**. لبنان، المؤسسة الحديثة للكتاب، 2009، ص: 17.

[2]- المرجع نفسه، ص: 18.

[3]- ابن كثير، المصدر السابق، ج 9، ص: 642.

[4]- القحطاني سعيد بن مسفر، **الشيخ عبد القادر الجيلاني وآراءه الاعتقادية والصوفية**. مكة المكرمة، دار النشر مكتبة الملك فهد الوطنية، ط2، 1997م، ص: 22.

[5]- حمدي أيمن، **قاموس المصطلحات الصوفية (دراسة تراثية مع شرح اصطلاحات أهل الصفاء من كلام خاتم الأولياء)**. الإسكندرية، 2003، ص: 76.

[6]- حمدي أيمن، المرجع السابق، ص: 77.

[7]- القحطاني سعيد بن مسفر، المرجع السابق، ص: 31.

طلابه وأتباعه ليتسنى له تربيتهم على الزهد والتواضع ونحو ذلك من الأخلاق الإسلامية، ورغم تقدم ظهور التصوف في الأمة الإسلامية إلا أنه لم يظهر في شكل منظم تحت طريقة واحدة إلا في عهد الشيخ عبد القادر الجيلاني[1]، والمتبع لظهور الطرق الأخرى يرى إنها جميعا إنما ظهرت بعده[2].

دخلت القادرية إلى السودان الغربي خلال القرن 9هـ/15م بواسطة جماعة من المهاجرين كانوا يتخذون واحة توات مركزا لهم، ثم انتقل هؤلاء إلى ولاتة جنوب شرق موريتانيا، وجعلوا منها أول مركز لطريقتهم ولكن أحفادهم طردوا من هذه المدينة فلجئوا إلى تمبكتو في بداية القرن 15م، وهنا يظهر تطورها الحقيقي للطريقة خاصة على يد قبائل الهاوسا وقبائل الفلان[3] التي كانت تقطن حوض السنغال[4]، وقد واصلوا نشاطهم الديني والتعليمي على إنها في تلك الفترة قد وصلت إلى أوج قمتها الثقافية والاقتصادية والعمرانية مما ساعد كثيرا دعاة العرب على نشر هذا المذهب الصوفي الذي أتوا به من المنطقة[5]. ولم يكتف القادريون بحلقات الذكر والتراتيل فقط، فقد جلسوا كمعلمين وتفقه بعضهم في الدين، واتجه بعضهم لكتابة التمائم والتعاويذ، –وهو مخالف للشرع تماما وهنا نجد الأثر السلبي لبعض المتصوفة الذين حافظوا على بعض العادات والممارسات المنافية للشريعة–، أما أغنيائهم اتجهوا إلى الشبان حيث أرسلوهم للمراكز الثقافية بالشمال ليتزودوا بالعلوم والمعارف المختلفة وفتحوا كذلك مدارس للطلاب، وبفضلهم تحول الدخول إلى الإسلام من حالات فردية إلى حالات جماعية[6].

واعتمد دعاة القادرية على الوعظ والإرشاد ونشر التعاليم والثقافة الإسلامية بفضل المؤلفات التي ألفها زعماء القادرية باللغة العربية والتي صارت ينبوعا للفكر الإسلامي الصحيح في هذه البقعة من غرب القارة، بل وان دعاتها قاموا بجهود كبيرة لمحاربة الوثنية ولقد كان المسلمين الذي تربوا في سلك نظام الصوفية التي كانت تقوم على

---

[1]– محمد الداه أحمد، المرجع السابق ص ص: 42-43.

[2]– القحطاني سعيد بن مسفر، المرجع السابق، ص: 32.

[3]– **الفلان**: أو الفولان أو الفوللا شعوب رعوية تحولت إلى شعب سوداني بعد أن اتخذت من اللغة السودانية لغة لها، كما أخذت عنهم بعض المظاهر الحضارية وبعض العادات، وأغلب هذه القوميات والشعوب اعتنقت الإسلام في فترات تاريخية متعددة، وكان للمغرب الأقصى دور مهم في نشر الإسلام بينهم. ينظر: الفيتوري عطية مخزوم، **دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء مرحلة انتشار الإسلام**. بنغازي، 1997م، ص ص: 23-24.

[4]– الهمشري محمد علي وآخرون، **انتشار الإسلام في إفريقيا**. الرياض، دار الأركان، ط2، 1997، ص: 62.

[5]– بازينة عبد الله سالم، المرجع السابق، ص: 233.

[6]– هلال عمار، **الطرق الصوفية ونشر الإسلام في غرب إفريقيا السمراء**. الجزائر، وزارة الثقافة العربية، ط2، 2006، ص: 110. بدوي علي سليمان، **الطريقة القادرية والاستعمار الفرنسي في موريتانيا 1903/1960م**. رسالة ماجستير غير منشورة في التاريخ الحديث والمعاصر، دراسات إفريقية، قسم تاريخ، جامعة القاهرة، 2033، ص: 23.

حب الجار والتسامح وتأسيس المدارس ويوافقون عليها حيث قام نشاطهم في الدعوة طابع إسلامي يعتمد على الإرشاد وأن يكونوا قدوة لغيرهم[1]، وكانت دعوتهم إلى الإسلام تعتمد على الإقناع والحكمة وتأثير في المجتمعات الوثنية بطرق سلمية لا مجال للعنف فيها[2].

وسبب انتشار الإسلام في غرب إفريقيا بين قبائل الفلان والتكرور[3] يرجع أيضا لتطور القادرية في المنطقة، ومن بين أشهر قادة القادرية محمد بن عبد الكريم المغيلي لتلمساني، وعثمان بن فودي الفلاني[4]، كما انتشر بفضل جهود التجار والمشايخ الذين ينتمون إلى قبائل من مالي والنيجر وغيرهما[5]، ومن الواضح مما سبق ذكره أن رجال الطريقة القادرية قاموا بدور كبير في نشر الإسلام بين الأفارقة والعمل على تثبيت دعائمه حيث قام

---

[1]- بايزينة عبد الله سالم، المرجع السابق، ص: 205.

[2]- هلال عمار، المرجع السابق، ص: 113.

[3]- **التكرور**: جمعها "تكارة" أو "تكاررة" ويطلق عليهم أيضا اسم "تكور" أو "تكرور" ومنه جاء اللفظ الفرنسي (Takrur, Toucouleurs)، وهم أكثر شعوب المجموعة صلة بالصحراء وأقدمها تأثرا بالإسلام، وسموا بذلك نسبة للبلاد التي سكنوها قديما والتي تقع شمال حوض السنغال الأسفل، وعادة عندما يذكر الكتاب الإنجليز والفرنسيين لفظ التكرور يقصدون به الشعب الذي يعيش على ضفاف هذا نهر فوتا سنغومايو، وهي المنطقة التي تعرف حاليا بالسنغال وموريتانيا. لكن إبراهيم جوب يرفض ذلك لأن كلمة تكرور هي اسم مدينة مملكتهم، سكنوا الجزء الأكبر من ضفاف النهر من بندو وبلاد فوتا على جانبي نهر السنغال وإن كان أكثرها على الجانب الأيسر من النهر أين توجد أقاليم: دمار، تورو، لاو، بوسيه، جنار، وأصبحت كلمة تكرور مرادفة لكلمة سوداني، وقد تبعهم في هذا المؤرخون السودانيون الذين كتبوا بالعربية، والواقع أن التكرور تدل على ما يعرف حاليا بالسنغال وموريتانيا. كما توزعوا أيضا في منطقة سيغو وبلاد نهر النيجر الأعلى، واستقبلت مواطن نفوذهم شعب الفلان بعد هجرته إليها فأخذوا عنهم اللغة رغم أنه احتفظ بنمط حياته المتميز عن بقية الشعوب السودانية بمن فيها التكرور، وتصاهر التكرور مع الولوف والفولان حالهم حال قبائل السوننكي، وتحدثوا لهجات متعددة، واعتنقوا الإسلام قبل غيرهم من القبائل على عهد الملك وارجابي بن رابيس. ينظر: الفيتوري عطية مخزوم، المرجع السابق، ص ص: 34-35. الناني ولد الحسين، **صحراء الملثمين دراسة لتاريخ موريتانيا وتفاعلها مع محيطها الإقليمي خلال العصر الوسيط من منتصف القرن 2هـ/8م إلى نهاية القرن 5هـ/11م**. تق: محمد حجي، بيروت، دار المدار الإسلامي، ط1، 2007م، ص: 408.

[4]- برايما باري عثمان، **جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي (410هـ-515هـ/1038م-1121م)**. بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1988، ص: 231.

[5]- بازينة عبد السلام، المرجع السابق، ص: 207.

رجالها والمتزعمون باسمها من فلانيين وسراكوليين وماسينيين بصورة خاصة بحركات جهادية لنشر الإسلام بين الوثنيين السود من جهة، ولوعظ وتعليم المسلمين منهم من جهة ثانية كي يصحح فهمهم للدين الإسلامي[1].

من خلال ما تقدم نجد أن الطريقة القادرية ساهمت بشكل كبير في نشر الإسلام في الهوسا وغيرها من مناطق السودان الغربي، ويعتبر من أقدم الطرق حيث انتشرت بين سكان المنطقة من خلال جهود التجار والمشايخ فقد كان نشاطها في الدولة ذو طابع إسلامي يعتمد على الإرشاد والنصح وبهذا برهن دعاة القادرية على أنهم أوفياء لمبادئ مؤسس الجماعة ولتقاليدها ولمبادئ منشأها الذي أوصى تلاميذه بهذا السلوك السمح[2].

3- عوامل انتشارها:

يعد إقليم توات من أهم روافد انتقال الإسلام إلى أقطار السودان الغربي نظرا لقربه الجغرافي، وقد ظهرت أهميته خلال ق 15م بفضل حيوية علمائها وصبرهم وخبرتهم في أداء رسالتهم[3]، فالهجرات التواتية بدوافعها الدينية والتجارية والدعوية وجهود الرواد الأوائل من الفاتحين التواتيين وانفتاح علماء توات على الأراضي الإفريقية أسهم بدور كبير في توثيق العلاقات بين التواتيين والأفارقة حيث يعتبر إقليم توات[4] عاملا مساعدا للتجار فهو الممر الطبيعي لتجار السودان الغربي لأنه بمثابة حلقة وصل بين غرب إفريقيا بواسطة القوافل التواتية[5]، وهذا الإقليم قد عرف ظاهرة التصوف منذ العهد الأول من دخول الإسلام إليه وأصبحت الحياة الروحية تقوم على نشاط الطرق الصوفية التي قادها مشايخ أجلاء حملوا على عاتقهم مهمة نشر الإسلام وتعاليم مناهجهم الصوفية بإقليم توات حيث وجدت أرضها خصبة لتنمو وتتفرع في ربوعها[6]، فرجال الصوفية بتوات وغيرهما لهم فضل لا

---

[1]- باريميا باري عثمان، المرجع السابق، ص: 232.

[2]- بازينة عبد الله سالم، المرجع السابق، ص: 231.

[3]- بوداوية مبخوت، المرجع السابق، ص: 142.

[4]- **إقليم توات:** عبارة مجموعة من واحات الصحراء الجزائرية بالجنوب الغربي، تؤلف في مجموعها إقليم عبور ما بين سفوح الأطلس الجنوبي وبلاد السودان الغربي، يحدها من الشمال العرق الغربي وهضبة تادمايت ومن الجنوب هضبة المولير. ينظر: حوتية محمد، **توات والأزواد خلال القرنين 12هـ-13هـ/18-19م**. ج:1، الجزائر، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط1، 2007، ص: 28.

[5]- المرجع نفسه، ج: 1، ص: 142

[6]- شترة خير الدين، **الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني المصلح الثائر وفكره الإصلاحي في توات والسودان الغربي**. ج:1، تلمسان، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 2011، ص: 303

يستهان بدون ذلك لأسلوبهم الذي اعتمده شيوخهم ومريدهم في تعميم مبادئ التصوف التي جذبت إليهم العديد من طبعة المعرفة سواء القادرية أو غيرها من الطرق التي انتشرت في المنطقة[1].

وساهم العديد من العلماء في صبغ ثقافة إقليم السودان الغربي بالصبغة الإسلامية، واشتهر أيضا علماء منطقة توات بذلك فالبعض من الذين قاموا بهذا الدور، استقروا بمدينة تمبكتو وكونوا جالية نشيطة ساهمت في تعميم حضارة العالم الإسلامي في مناطق السودان الغربي الوثنية، وذلك بإعطائهم الفقهاء والعلماء الذين زودوا القبائل الوثنية بالثقافة والأفكار الإسلامية، وربما هذا من أكثر العوامل التي نشرت الإسلام في غرب إفريقيا، فالأفارقة الوثنيون كانت تتحكم في تفكيرهم الخرافات والأساطير، وهذا ما سهل نقلهم إلى الإسلام عن طريق التصوف[2]، ويتأكد هذا الأمر من خلال معرفة إن سكان النيجر وموريتانيا يخضع أغلبهم للطريقة القادرية لأن هذه الفرق التي أسسها التواتيون كلها تهدف إلى نشر تعاليم الدين الإسلامي، وزرع حب ثقافة الجار والعفو مع الوثنيين والمسيحيين هناك[3].

وللموقع الاستراتيجي للمنطقة أثر بالغ في علاقاتها الثقافية والحضارية بمختلف المناطق، فقد سهل مرور القوافل لمختلف الأغراض بين المنطقتين[4]، كما سهل العلاقات التجارية أيضا، ومنه فموقعها ساعد على جعلها أهم روافد التبادل التجاري إذ كان التاجر المسلم يمثل قيما دينية ويعيشها مما جعله نموذجا جديدا في بيئته تعرفه أول مرة لا تدين إلا بالوثنية[5]، وفي نهاية ق 15م يظهر في إقليم توات المجاورة لمنطقة السودان الغربي الإمام المغيلي الذي كان شيخا من شيوخ القادرية حيث وصلت إليه أنباء من منطقة السودان الغربي جنوب الصحراء بواسطة مجموعة من التجار وطلبة الكتاتيب القرآنية وحدثوه عن أوضاع المسلمين في هذه المنطقة[6]، غير أن هذه المنطقة اشتدت فيها الصراعات مما صعب عليه الارتحال إلى أرض صنغاي التي كان يحكمها الملك سني، هذا الأخير كان يعامل العلماء ورجال الدين معاملة سيئة[7]. وفي سنة 897هـ/1492م توجه المغيلي إلى كانو ثم إلى

---

[1]- حوتية محمد، المرجع السابق، ج: 1، ص: 143

[2]- عباس عبد الله، التأثيرات **الحضارية لمنطقة توات في السودان الغربي**. رسالة ماجستير غير منشورة، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1998/1997م، ص: 113.

[3]- شترة خير الدين، المرجع السابق، ج:1 ، ص ص: 285-286.

[4]- مقدم مبروك، المرجع السابق، ص: 130.

[5]- عباس عبد الله، المرجع السابق، ص: 114.

[6]- شترة خير الدين ، المرجع السابق، ج: 1، ص: 295.

[7]- مقدم مبروك، المرجع السابق، ص: 28.

كاتسينا[1] شمال نيجيريا حاليا[2]، وحسب ما يقوله بعض المؤرخين فان زيارته لهذه المنطقة جاءت نتيجة لدعوة تلقاها من أميرها، وفي نفس السنة توفي ملك صنغاي فتوجه المغيلي إلى هناك لإعانة أمير مدينة كوكو أسكيا محمد بالحكم وفق الشريعة الإسلامية وفي هذه الأثناء التي وصل فيها الإمام للمنطقة كانت قد شهدت فترته إصلاحات خاصة في بلاد الهوسا، وكانت قد انطلقت من أمراء كانو وكاتسينا، ورحب سكان المنطقة بأفكار الإمام المنادية للإصلاح ومحاربة البدع المخالفة للشريعة الإسلامية[3].

وفي خصم هذه الظروف قرب سلطان كانو الإمام المغيلي منه إلى درجة انه كان يستشيره في أمور السلطة وهناك ألف المغيلي رسالة وضع فيها أحكام شرعية ومختلفة من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر وغير ذلك[4]، ومن الواضح أن شهرة الإمام المغيلي قد سبقته إلى منطقة السودان الغربي مما جعل من هذه الظروف والعوامل تساعده على انتشار دعوته هناك[5]، فقد اخذ منه أهل السودان الغربي الكثير من المعارف والعلوم وحتى الملوك والأمراء استفادوا من علمه، وقد تقدم المغيلي إلى العديد من المناطق والممالك في بلاد السودان واخذ يتقرب من ملوكها وسلاطينها حتى أن منهم من جعله مستشارا خاصا له[6]، والذي ساعده أيضا على نشر الطريقة هو معرفته التامة التامة بأحوال المسلمين في المنطقة، واطلاعه الواسع على سياسة أمرائها وملوكها وكذلك حرصه الشديد على أن يصدر أحكاما وفق الشريعة الإسلامية فاتبع تعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فقد كان على مذهب الإمام مالك الذي جعله كقانون يحكم أهل بلاد السودان من مختلف نواحي الحياة[7]، وقد حظي بمكانة علمية

---

[1]- **كاتسينا**: أسسها كومايو (Koumayo) في القرن 6هـ/12م، دام الحكم لعائلته إلى غاية القرن 8هـ/14م، بعدها حكمتها أسرة من ونغارة، إلى غاية القرن التاسع عشر، و يعتبر الملك كاغو (Karaou)، مؤسس المدينة وقد حكمها لمدة ستون سنة، وهي واحدة من أهم المراكز التجارية. وقعت تحت سيطرة البرنو في القرن 9هـ/15م، فأصبحت من أهم مراكز بيع العبيد CORNEVIN Robert, **Histoire des Peuples de L'Afrique Noir**. Op.Cit, P: 322, Paris, Ed Berger-Levrauts, 1962

[2]- شترة خير الدين، المرجع السابق، ج:1 ، ص: 132.

[3]- فرج محمود فرج، **إقليم توات خلال القرنين. 18م و19م دراسة لأوضاع الإقليم السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية**. أطروحة دكتوراه منشورة، إش: أبو قاسم سعد الله، معهد العلوم الاجتماعية، دائرة التاريخ، الجزائر، 1997م، ص: 115.

[4]- أحمد نور الدين، **المنهج الدعوي للإمام المغيلي من خلال الرسائل التي بعثها للملوك والأمراء والعلماء**. مذكرة ماجستير ماجستير غير منشورة، جامعة الحاج لخضر بباتنة، 2010-2011، ص: 50.

[5]- إبراهيم عبد الله عبد الرزاق، **الطرق الصوفية في القارة الإفريقية**. بنغازي، دار الكتب الوطنية، ط2، 2000، ص: 32.

[6]- شترة خير الدين، المرجع السابق، ج: 2، ص: 398.

[7]- مقدم مبروك، المرجع السابق، ص: 148.

مرموقة واعتبره أهل المنطقة من أولياء الله الصالحين، واشتهر بكرامات في عصره نقلها عنه بعض المؤلفين حيث كان فقيها نبيها وفطنا[1].

ومع سنة 1551م بدأت أفكار جديدة تؤثر على الطريقة القادرية في وسط السودان وغربه، وفدت إليه من المشرق عبر مصر العثمانية، فقد ظهر شيخ آخر للقادرية هو الشيخ الزروق الذي تأثر به الشيخ مختار الكبير، وقد ساعده على نقل تعاليم الطريقة إلى جماعات الفولاني في الهوسا، فبعد انهيار مملكة مالي التي ساهمت في نشر الدعوة الإسلامية ظهرت دولة صنغاي وحمل ملوكها لواء الدعوة الإسلامية ابتداء من القرن 14م وتوسعوا أيضا في الجنوب وظلوا يمارسون هذا الدور حتى أواخر القرن 16م عندما تعرضت هذه الدولة للغزو المراكشي من بلاد المغرب بعد الحملة التي قام بها القائد جؤدر باشا ودخل عاصمة هذه الدولة تمبكتو، وقضى على ما بقي من ملوك صنغاي سنة 1591م، وأنهى بذلك دور هذه الدولة الإسلامية[2].

فكان لهذا الغزو أثر مدمر على البلاد حيث ساءت أحوال السودان الغربي، وعاش الناس في عزلة اقتصادية، وتشرد العلماء وثم سجن رجال الدين، وانقسمت الدولة إلى قبائل متناثرة[3]، وبالإضافة إلى الظروف السيئة التي عاشها السكان من صراعات وانتشار للبدع والخرافات والأباطيل والعودة بالمجتمع إلى الوثنية الأولى التي اختلطت بالدين الإسلامي حيث كان الحكام لا يفقهون الأحكام الشرعية جيدا[4]، فانتشرت الرذائل والبدع والفواحش، واحتدم الصراع على السلطة، وفي هذه الأثناء ظهر قائد جديد للهوسا وهو عثمان بن فودي[5]، كان كان قد تبنى الطريقة القادرية، وسار وفق منهج الإمام المغيلي واتبع أحكاما شرعية كثيرة كان يتبعها هذا الأخير في عصره[6].

---

[1]- إنوخويا إدريس وبرماتي فاطمة، "**الشيخ أمحمد بن عبد الكريم من المهد إلى اللحد**". مجلة الذاكرة، ع: 17، ماي 2016، قسم اللغة الأدب العربي، جامعة أدرار، الجزائر، ص: 17.

[2]- إبراهيم عبد الله عبد الرزاق وشوقي الجمل، **تاريخ غرب إفريقيا الحديث والمعاصر**. القاهرة، مكتبة الإسكندرية، 1998م، ص 175.

[3]- الفلاني، الطيب عبد الرحيم، **الفلاتة في إفريقيا ومساهمتهم الإسلامية والتنموية في السودان**. الكويت، دار الكتاب الحديث، ط1، 1994، ص: 86.

[4]- إبراهيم عبد الله عبد الرزاق وشوقي الجمل، المرجع السابق، ص: 69.

[5]- **عثمان بن فودي**: هو عثمان بن محمد بن عثمان بن صالح الملقب بابن فودي، وتعني بالفولانية "الفقيه"، ولد في بلدة ماراتا بولاية ولاية سوكوتو بنيجريا سنة 1168هـ/1754م، نشأ وترعرع الشيخ عثمان في أسرة دينية صوفية. ينظر: باري محمد فاضل وكريدية سعيد إبراهيم، **المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة**. بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2007، ص: 188.

[6]- بوعتروس أحمد، المرجع السابق، ص: 125

وزار عثمان بن فودي أماكن عديدة ليأخذ العلم من العلماء المشهورين في المنطقة وخاصة الشيخ جبريل بن عمر فاخذ عليه، وبعد إن أتم تعليمه تصدى للوعظ والإرشاد في المنطقة وتتلخص أفكاره الإرشادية بين الناس في العمل على تثقيفهم ليصححوا مفهوم الدين الإسلامي، ويبتعدوا عن البدع والخرافات ويتبعوا القرآن الكريم والسنة النبوية، وابتعد عن الأمور السياسية حتى لا يقف الحكام ضد دعوته وتمكن من جمع العديد من الأنصار والتلاميذ حوله[1]، ومما زاد من قوة انتشار الطريقة في ربوع المنطقة على عهدة تأليفه لعدد من الكتب والمصنفات حول هذه الطريقة حيث كان تأثره بها جليا وواضحا من خلال كتاباته، وعلى العموم ما ساعد هذه الطريقة على الانتشار في المنطقة تكيفها مع بيئة المجتمعات الإفريقية وعاداتهم وتقاليدهم، لاسيما في تلك المنطقة حيث كانوا يمارسون طقوسهم باستعمال الطبول، ويقيمون حلقات للذكر، ويتضح لدى المؤرخين إنها وجدت قبولا في المنطقة لأنها تخلط بين العبادات والحركات الأخرى من رقص وغير ذلك،كما كان تأثير الشيخ على مريده وسيطرته عليه حتى جعله يطيعه طاعة عمياء عاملا لا يقل أهمية عن سابقيه، وهذا جعل من نفوذ الطريقة وشيوخها يمتد مما جعلهم يفكرون في توسيع رقعتهم[2].

مراكز نفوذ الطريقة:

نجحت الطريقة القادرية بضم ملوك وأمراء السودان الغربي إليها، الذين اتخذوا من مقدمي الطريقة مستشارين لهم، فاستفادوا من خبراتهم وثقافتهم، مما سهل على الطريقة القادرية الانتشار أكثر في بلاد السودان الغربي. وكان لوصول الطريقة القادرية يعني إن الإسلام لم يعد دين جماعة بل صار دين الأغلبية اعتنقه الملوك الوثنيين واستمر في الانتشار على طول الطرق التجارية حيث صارت مدينة كان مركزا أساسيا لنشاط رجال الدين الإسلامي ومن مدينة كان امتدت نحو حوض السنغال إلى مصب النيجر[3]، من ثم اتجهت إلى الجنوب الشرقي

[1]- زبادية عبد القادر، **دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء لمآثر ومؤلفات العرب والمسلمين**، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2006، ص: 78.

[2]- بوعتروس أحمد، المرجع السابق، ص ص: 190-191.

[3]- بوداوية مبخوت، المرجع السابق، ص ص: 257-258.

حيث منطقة فولتا وحملها رجال من قبائل الديولا[1]، ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد بل انتشرت حتى في بلاد الهوسا، وخصوصا في مدينة كانو بعد أن حمل إليها الشيخ عبد الله سيكا تعاليم الطريقة من فاس[2].

وتقوم المراكز الرئيسية لتنظيم دعوتهم في كنكاء وتمبو بجبال فوتا جالون ومسرد الواقعة في بلاد الماندينجو وموطنهم على نهر جميمي في غينيا[3]، ومن هذه النقطة امتدوا إلى الجهات المجاورة فعمروا ديار بلال الله وذكير الله، ومدينة ومازالو حتى وصلوا إلى مقاطعة سيراليون[4]، ولقد كانت هذه المدن تؤلف مراكز دينية وسط شعب وثني رحب بالقادرية، باعتبارهم كتابا وفقهاء كتاب تمائم ومعلمين، وتسلطت القادرية على كل من رحب بها واتبعها[5]، لأن القادريين كانوا كثيرين جدا في المغرب وزاويتهم في عزاوات التي أسسها الشيخ مختار الكبير بعد وفاته انقسمت إلى ثلاث فرق، الأولى القادرية البكائية مركزهم عزوات انتشروا إلى تمبكتو، الثانية القادرية الذين في أدرار، الثالثة القادرية الذين في ولاته وانتقلوا إلى السودان الغربي[6]. ومن أشهر قادة القادرية في إفريقيا الذين عملوا على نشرها نجد أحمد البكاي الذي عمل على نشر دعوته في الجزء الغربي من الصحراء الكبرى وعرفت طريقته بالبكائية، وكذا الشيخ السيد التأرازي الذي عمل على نشرها في جمبيا وغينيا والبرتغال وليبيريا وساحل الذهب، والشيخ سيدي بابا الذي عمل على القضاء على البدع والخرافات التي انتشرت بين المسلمين وفي الأخير أشرف عليها الشيخ عبد الله بن الشيخ سيدي ويتخذ من موريتانيا مقرا له[7].

ومما ساعد على نشرها أيضا محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني الذي زار كل من كانو وكاتسينا ودرس في آهير، وشارك في نقل تعاليم الطريقة القادرية في المراكز الهوسية، كما لا ننسى جهود زعماء الطرق الصوفية الآخرين، وكذلك وصلت تعاليم القادرية إلى إمبراطورية الكانم عن طريق شمال إفريقيا بالإضافة للدور

---

[1]- **الديولا**: وحافظ غالبيتهم على دياناتهم القديمة لفترة من الزمن، ولكن سرعان ما أسلموا نتيجة اتصالهم بشعوب المالينكي، اشتهروا بالتجارة وبفضلها انتشروا في مناطق ساحل العاج، وساحل الذهب والتوغو، وتواجدوا بغينيا بيساو. ينظر: شوقي عطا الله وإبراهيم الجمل، المرجع السابق، ص: 45.

[2]- إبراهيم عبد الله عبد الرزاق، مرجع سابق، ص 33.

[3]- بوداوية مبخوت، المرجع السابق، ص: 258

[4]- شكيب أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**.ج: 2، بيروت، دار الفكر، ط4، 1973م، ص: 396.

[5]- ذهني الهام، **جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي، "1851-1914**. الرياض، دار المريخ للنشر، ط2، 1988م، ص: 32.

[6]- شكيب أرسلان، المرجع السابق، ص: 395.

[7]- شلبي أحمد، **موسوعة التاريخ الإسلامي: الإسلام والدول الإسلامية، جنوب الصحراء منذ دخلها الإسلام حتى الآن**. القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط2، 1990، ص ص: 212-213.

الذي لعبه الأزهر الشريف في مصر في الإحياء الصوفي وفي انتشار مبادئ القادرية بين الجماعات الوثنية في السودان الغربي[1].

ولا ننسى دورات الحج السنوية التي كانت تمر بمصر حيث وصل عدد الطرق الصوفية بها تسعة عشر طريقة بالإضافة إلى الطرق الفرعية حيث كان لكل طريقة أتباعها وأورادها ونشاطها الخاص بها، فكان من الصعب على حكام برنو والكانم من مناطق غرب إفريقيا تجنب هذه التيارات الثقافية حيث ظهر اثر النشاط الصوفي وخصوصا القادرية في برنو[2]، فالقادرية هم أحسن دعاة الدين الإسلامي في غربي إفريقيا من سنغاي إلى البنين وبهذا توطدت أركانها في الجزء الغربي من إفريقيا وأخذت مسلكها نحو المناطق الأخرى عبر الطرق التجارية التي كانت تعبرها القوافل التجارية من تمبكتو إلى دارفور[3].

4- فروع الطريقة القادرية وشيوخها في السودان الغربي:

أ- الطريقة القادرية الكنتية:

ارتبطت الطريقة القادرية في السودان الغربي ارتباطا وثيقا بالكنتيين فكانوا هم الذين حملوا على عاتقهم المسؤولية الكبيرة في نشر تعاليمها ومنهجها في كل جهات المنطقة، فكان دورهم تكملة للدور الذي بدأه الداعية محمد بن عبد الكريم المغيلي حيث تنتسب هذه الطريقة إلى محمد الكنتي بن علي بن يحي بن عثمان بن عبد الله بن عمر بن العقاب بن عقبة بن نافع (ت:758هـ/1357م)[4] حيث شاع خبر زاويته وقصدها العديد من الأتباع الأتباع من كل فج عميق، فنجد أن محمد الكنتي أرسل أتباعه إلى إفريقيا السوداء لنشر الدعوة الإسلامية بين السودانيين وهنا قام ببناء زاوية في داكار واشتغل فيها بالتعليم والتربية وكذا نشر الإسلام[5]، فلقي استجابة كبيرة

---

[1]- إبراهيم عبد الله عبد الرزاق، المرجع السابق، ص: 35.

[2]- شكيب أرسلان، المرجع السابق، ص: 258.

[3]- بوداوية مبخوت، المرجع السابق، ص 258.

[4]- **كنتة:** تعتبر من أهم العائلات العربية التي جاءت إلى منطقة حوض النيجر وبلاد السودان الغربي، فقد أخذت هذه القبيلة اسمها من جدها وهو الشيخ محمد الكنتي وفي عهده بدأت هجرة الكنتيين إلى الصحراء وعاش هذا الأخير بين توات وأدرار، فهنا تطورت من قبيلة عربية إلى مغربية ذات نفوذ ديني وسياسي كبير، وكانت هي الأساس في نشر الطريقة القادرية في السودان الغربي، ينظر: المتوتي محمد، **المدرسة الكنتية كأبرز قناة بين الإفريقيين في العصر الحديث**، منشورات جمعية الموظفين في كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1992 م، ص 35.

[5]- مفتاح عبد الباقي، المرجع السابق، ص 389.

من قبل القبائل الوثنية خاصة في السنغال وعند وفاته توارث أبناءه من بعده نشر طريقته بالأزواد في صحراء مالي[1].

وانتقلت بعد ذلك هذه الطريقة إلى الشيخ علي بن نجيب إلى أن تسلمها منه الشيخ المختار الكبير الكنتي (1730-1811م) فكان عالما ومثقفا ومصلحا قبل كل شيء، حيث أحرزت زاويته أتباع ومريدين كثر، فقد كان المختار الكنتي عالما بارزا من خلال الدور العظيم الذي لعبته زاويته للإرشاد والإصلاح والتعليم ونشر الإسلام في غرب إفريقيا[2]، وبعد وفاته خلفه أبناؤه من بعده وواصلوا نهج والدهم في نشر القادرية أمثال الشيخ محمد ولد المختار الكبير (1765 -1826م)[3].

ب- الطريقة القادرية البكائية:

وتفرعت الطريقة البكائية من الطريقة الكنتية التي كانت قاعدتها توات، وانتشرت الطريقة البكائية في معظم بلاد الصحراء والسودان الغربي، وتعددت زواياها حتى لا تكاد أن تجد قرية في إفريقيا أو في السودان لا تخلو من زاوية بكائية، يعود نسبها إلى الجد الكنتي الشيخ عمر ولد الشيخ أحمد البكاي ابن الشيخ محمد الكنتي الكبير[4]. وأحمد البكاي الكنتي (كان حيا 920هـ/1515م) مؤسس الطريقة هو الولي العارف بالله المتبرك به المشهور ابن محمد الكنتي من عباد الله الصالحين وأولياء الله المعروفين، يزوره الناس من كل فج في كل ساعة، يزوره الشرفاء والأولياء الصالحون، وأكثر الناس زيارة له الغرباء وأهل التل والمسافرون الذين يأتون للتجارة من جهة الشمال، لما رأوا من بركاته كثيرا، ويأتون بالفتوحات وهو جد كنتة[5] كلها: كنتة الحجر[6] وكنتة الأزواد[7]، وأخرج وأخرج الله تعالى من نسله كثيرا من الأولياء والصالحين[8].

---

[1]- المتوتي محمد، المرجع السابق، ص 44.

[2]- حسين مؤنس، **الطرق الصوفية وأثرها في نشر الإسلام**، ط 1، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، 2000 م، ص 56.

[3]- مفتاح عبد الباقي، المرجع السابق، ص 391.

[4]- حوتية محمد صالح، المرجع السابق، ص: 179، 186.

[5]- **كنتة:** قبيلة من أمهات الزوايا في بلاد شنقيط وأعظمها أثرا في نشر الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا كلها. ينظر : البرتلي الولاتي، **فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور**. تح: ولد عبد الله عبد الودود وولد الحسن أحمد، القاهرة، دار نجيبويه للبرمجة والدراسات والنشر والتوزيع، 2019، ص: 59.

[6]- **كنتة الحجر:** هم المقيمون من هذه القبيلة في منطقتي أدرار وتكانت (موريتانيا). ينظر: المصدر نفسه، ص: 59.

[7]- **كنتة الأزواد:** هم المقيمون في منطقة أزواد إلى الشمال من تمبكت ضمن حدود دولة مالي الحالية. ينظر: المصدر نفسه، ص: ص: 60.

[8]- المصدر نفسه، ص ص: 59-60.

تلقى تعليمه الديني وحفظ القرآن الكريم على يد أبيه محمد الكنتي وبعد وفاته واصل إبنه مشوار أبيه في نشر الدعوة والإرشاد في الجزء الغربي من الصحراء الكبرى وأقام زاويته في أدرار وفي الأزواد، وشاع خبره وذاع صيته وانضم إليه المريدون والأتباع، وتخرجوا على يديه، وأصبحوا من دعاة القادرية البكائية في إفريقيا الغربية خاصة عند قبائل ولاتة، ونقلوا القادرية البكائية إلى شتى الجهات[1].

وبعد وفاته خلفه ابنه الشيخ عمر بن أحمد البكاي (ت: 960هـ/1553م) الذي أخذ العلم عن والده وعن الإمام السيوطي، قام برحلات دعوية في بلاد الساحل السوداني أين التقى بالشيخ محمد عبد الكريم المغيلي في توات، فجعله المغيلي رسوله ومريده لنشر الطريقة القادرية في توات وبلاد التكرور والصحراء الكبرى، وبقيت المشيخة في ذريته من بعده، وقد تخرج على يد هؤلاء الشيوخ القادريين وخلفائهم مالا يعد ولا يحصى من التلاميذ والأتباع في موريتانيا والصحراء وإفريقيا الغربية[2].

وبفضل أبناءه وتلاميذه، تمددت الطريقة القادرية وترسخت في أصقاع عديدة من غرب إفريقيا، وكانت منطقة أزواد بمالي وكذلك الشرق الموريتاني مركز البكائية الأول إلا أنها امتدت إلى نيجيريا بفضل الشيخ عثمان بن فودي الفلاني الذي كان من أبرز تلاميذ الشيخ سيدي المختار الكنتي، أحد أبرز أعلام وأحفاد مؤسس البكائية، بل يمكن اعتباره المؤسس الثاني للطريقة البكائية في الغرب الإفريقي. وللقادرية في طبعتها الكنتية تأثير قوي جدا في مالي حيث ينتمي عشرات الآلاف من البمبارة إلى الورد البكائي، ولها في السنغال مكانة كبيرة، حيث تمثل مدينة أنجاسان مركز ثقل القادرية البكائية، وتعتبر أسرة أهل بونعامه الموريتانية الأصل بيت الخلافة القادرية الكنتية في السنغال[3]. ولأتباع القادرية البكائية أذكار تختلف نوعا ما عن أوراد بقية فروع القادرية، وهذه الأوراد عن المشايخ المشايخ الكنتين، وهو ورد سلسلة القادرية وهو أشهر الأوراد يقوم على قراءة الأدعية التالية: حسبنا الله ونعم الوكيل 200 مرة، استغفر الله العظيم 200 مرة، صلى الله على محمد وآله 100 مرة، وهذا الدعاء الكامل الذي ينبغي الوصول إليه والأولياء والشيوخ والأتقياء هم أوحيدون الجديرون به[4].

ج- الطريقة القادرية الفاضلية:

---

[1]- البرتلي، المصدر السابق، ص: 30.

[2]- مفتاح عبد الباقي، المرجع السابق، ص 322.

[3]- حمادي لخضر، "التصوف في إفريقيا: خريطته ووظائفه السياسية". موقع منار الإسلام، 10 أفريل 2020. تاريخ الدخول 2020/11/01، التوقيت: 00.40سا

www.islamanar.com

[4]- هلال عمار، المرجع السابق، ص: 111

تنتسب الطريقة إلى الشيخ محمد فاضل بن الشيخ محمد الأمين "مامين" (1797-1867م) انتقل إلى أدرار شمال مدينة شنقيط اتخذ منها مقرا له حيث انتهج سياسة مميزة، فوزع أبناءه في البلاد فبعث بابنه الشيخ سعيد بوه (1848-1917م) إلى منطقة الجنوب الغربي الموريتاني (الترارزة) ومن هناك انطلق نحو الغرب الإفريقي أين ترك بصمات كبيرة في المنطقة فقد كان عالما وفقيها وأديبا، فأثر بشكل كبير على غرب موريتانيا وأقسام كبيرة من السنغال، وأما أخوه الشيخ ماء العينين[1] توجه نحو الصحراء، ويعتبر الشيخ ماء العينين من أشهر علماء عصره، وكان من بين أعظم أئمة التصوف في القرن 19م، وأخذ عنه تعاليم القادرية العديد من الأعلام كالشيخ أبو عبد الله محمد القادري (ت:1909م)، والشيخ عبد الحفيظ بن محمد الطاهر بن عبد الله الكبير الفاسي (ت: 1961م)[2].

وقد تباين الشيخان الأخوان سعد بوه وماء العينين في دائرتي المكان والأتباع، وأيضا في موقفهما من الاستعمار الفرنسي، فكان الشيخ ماء العينين وأبناؤه وتلاميذه أبرز رموز المقاومة ضد الفرنسيين، وكان الشيخ سعد بوه من أبرز رموز المهادنة والمسالمة الفرنسيين، ورغم ذلك كان للفاضلية تأثير قوي السنغال وغرب موريتانيا كما لها حضور قوي في غامبيا وساحل العاج ودولة غينيا[3].

[1]- **الشيخ ماء العينين (ت:1246هـ/1831م)**: هو المصطفى بن الشيخ محمد الفاضل بن محمد الأمين، نشأ في كفالة والده وتتلمذ على يده في شتى الفنون والعلوم، يقول مريده الشيخ محمد العاقب: "ولما قرأ جميع المتون وتفنن في العلم انتصب للتعليم بحضرة أبيه، وقد أمره بذلك، وجعل عليه ثلاث مدارس" من مؤلفاته: قرة العينين، وسحر البيان، ومجمع البحرين، ينظر: أخيار بن الشيخ ماميا، **الشيخ ماء العينين علماء وأمراء في مواجهة الاستعمار**. الرباط، دار المعارف الجديدة، ط2، د.س.ن، ص: 20.

[2]- مفتاح عبد الباقي، المرجع السابق، ص 406.

[3]- حمادي لخضر، المرجع السابق، ص: 1.

المبحث الثاني: ظهور التصوف في السودان الغربي

1 – الشيخ عبد الكريم المغيلي:

يعتبر ظهور الطرق الصوفية في السودان الغربي أحد أهم وأبرز التطورات الثقافية والسياسية والدينية في التاريخ الحضاري لإفريقيا جنوب الصحراء على مدار خمسة قرون[1]، كانت الطريقة القادرية المنسوبة إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني (ت:561هـ/1167م) هي أولى الطرق الصوفية وصولا إلى السودان الغربي تبعتها الشاذلية ثم التجانية، والتي أخذت زخما كبيرا بدءا من القرن التاسع عشر[2].

وعند الحديث عن التصوف في السودان الغربي، تتبادر إلى الذهن شخصيات صوفية كبيرة ساهمت بشكل كبير عبر مراحل تاريخية مختلفة وفي فضاءات جغرافية وبشرية متنوعة داخل منطقة الغرب الإفريقي في نشر التصوف، ومن بين هؤلاء الشيوخ الشيخ عثمان بن فودي[3] في نيجيريا، والحاج عمر تال في السنغال، والشيخ أحمد الداودي في موريتانيا، لكن هناك شخصية صوفية كان لها دور مهم في مسار التصوف في السودان الغربي لقرون عديدة، وهو العالم محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت:940هـ/ 1533م) الذي غرس بذور التصوف الإفريقي وطبعه بطابع إصلاحي شديد الفعالية[4].

المولد والنشأة:

أ– نسبه:

---

[1]– الشيخ محمد الأمين عوض الله، **العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطتين الإسلاميتين مالي وسنغاي**. جدة، د.م.ن، ط1، 1970م، ص: 192.

[2]– مكي حسين، "**رواد الفكر والتجديد في السودان وإفريقيا جنوب الصحراء في المائتان سنة الأخيرة**". مجلة دراسات إفريقية، الخرطوم، ع: 41، يونيو–حزيران، 2005م، ص: 12.

[3]– **عثمان بن فودي (1745–1817م)**: الشيخ عثمان بن فودي بن صالح بن هارون بن محمد بن جب بن محمد بن ثرب بن أيوب بن ماساران بن يوب باب بن جكل الملقب بابن فودي الفولاني الفقيه الصوفي، ولد بقرية مارت التابعة لجوبير نشأ في كنف أسرة علمية توارثت العلم، تولى فيما بعد وعامة الطريقة القادرية بنيجيريا،وأسس دولة الفلان بها. ينظر: عثمان بن فودي، **فتح البصائر لتحقيق وضع علوم البواطن والظواهر**. تح وتع: سيني مومويي وسالو الحسن، ط3، 2011، ص: 7.

[4]– الشيخ محمد الأمين عوض الله، المرجع السابق، ص: 194.

هو محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عمر بن مخلوف بن علي بن يحي بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد القوي بن العباس بن عطية بن مناد بن السري بن قيس بن غالب بن أبي بكر بن بكر بن عبد الله بن إدريس بن عبد الكامل بن الحسن المثنى السبط بن فاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم[1]. ونجد يأن أغلب من كتب عن المغيلي ينسبه إلى موطنه، حيث يذكر عبد الله حمادى الإدريسي أنه: محمد بن عبد الكريم بن محمد بن عمر بن يخلف الأشعري معتقدا، المالكي مذهبا، المغربي إقليما، التلمساني المنشأ، المغيلي نسبا، ونسبه لتلمسان نظرا لأنها دار أسلافه ومسقط رأسه، والمغربي لأن تلمسان تقع بالمغرب الأوسط[2].

ب- مولده:

ولد في مغيلة بتلمسان من عائلة علمية شريفة ومحافظة اشتهرت بالعلم والتقوى سنة 831هـ/1428م، حيث كان متميزا عن بقية أقرانه بذكائه الخارق وبداهة في طلب العلم والمعرفة. ولقد تربي بين أحضان عائلته المعروفة بالتصوف كما ترعرع بين أحضان شيخ مغيلة محمد بن احمد بن عيسى المغيلي المشهور بالجلاب فحفظ القرآن الكريم ومبادئ الفقه وأمهات الكتب الفقهية المالكية كالرسالة ومختصر الخليل[3]، وأخذ الحديث عن الإمام سعيد المقري، وانتفع بكثير من العلوم كالتفسير والحديث وبعدها التحق بعبد الرحمن الثعالبي[4]، وأخذ عنه علوم التصوف وأعطاه الطريقة القادرية لينشرها في قصور قوات وإفريقيا الغربية[5].

وترك لنا مؤلفات عدة منها البدر المنير في علو التفسير ومصباح الأرواح في أصول الفلاح، وشرح مختصر خليل في الفقه المالكي ومفتاح النظر في علم الحديث، ومنظومة في المنطق سماها منح الوهاب وله أيضا تنبيه الغافلين عن مكر الملبسين بدعوى مقامات العرفين[6]، كما شرح بيوع الآجال من ابن الحاجب فبحث فيه مع ابن ابن عبد السلام وخليل وتأليف في منهيات ومختصر تلخيص المفتاح لا وشرحه، وشرح خطبة المختصر ومقدمة في

---

[1]- المغيلي بن محمد بن عبد الكريم، **مدونة الفقه التصوفي مصباح الأرواح في أصول الفلاح**. تح: مقدم مبروك، تلمسان، دار القدس الغربي، 2001، ص ص: 233-234.

[2]- أمينة أحمد يحي وأمينة أحمد مسعود، **الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي ودوره في ظهور الحركات الجهادية في غرب إفريقيا**. مذكرة ماستر في تاريخ أفريقيا، جامعة الجيلاني بوعمامة، خميس مليانة، 2015/2014، ص: 07.

[3]- المغيلي محمد بن عبد الكريم، المصدر السابق، ص: 235.

[4]- **عبد الرحمن الثعالبي**: هو عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، ولد بناحية وادي يسر 786هـ/1384م. ينظر: عمار عمورة، **الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ إلى 1962**. ج: 2، الجزائر، دار المعرفة، 2009، ص: 38.

[5]- أمينة أحمد يحي وأمينة أحمد مسعود، المرجع السابق، ص 7 .

[6]- مقدم مبروك، **الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية بإفريقيا الغربية خلال خلال القرن التاسع للهجرة الخامس عشر ميلادي**. وهران، دار الغرب للنشر والتوزيع، 2006، ص: 28.

العربية وكتاب الفتح المبين، وفهرسه مروياته، وعدة قصائد كالمسيحية رويها في مدحه للرسول صلى الله عليه وسلم[1].

2- نشاطه الدعوي بالسودان الغربي:

كان أول اتصال لإفريقيا بالإسلام عهد الفاتح عقبة بن نافع حيث أرسل فرقة من جيشه باتجاه إفريقيا ووصلت حدود تشاد، وبذلك بدأ الإسلام في الانتشار وقد ساهمت القوافل التجارية القادمة من الشمال مرورا بأرض قوات وصولا إلى أدغال أفريقيا في الدفع بحركة الفتوحات الإسلامية نحو الإمام وعبر هذه القوافل دخل عدد هائل من العلماء إلى إفريقيا تجارا ودعاة إلى الله وأبرز شخصية دينية وعلمية في حركة المد الإسلامي هي شخصية الإمام المغيلي[2]، ولم يتوقف نشاطه عند إقليم توات بل تعداه لأماكن كثيرة من السودان الغربي[3]، حيث انتقل بين مدن وقرى افريقية بعيدة ومنتشرة في كامل مناطق الغرب الإفريقي منها آهير، تكدة، أقادس،كاتسينا، كانو، سنغاي[4] وغيرها حيث تمكن من محاورة عدد من الأمراء والملوك وفي شتى العلوم خصوصا مع الأمير محمد بن يعقوب حاكم مملكة كانو والأسكيا الحاج محمد حاكم مملكة سنغاي (1493-1524م)[5]، كما ارتحل إلى بلاد أصيرو بعدها إلى الهوسا واستقر بمدينة تكدة التي كانت تعرف ازدهارا ثقافيا ونشاطا تجاريا حيث اشتغل هناك بالتدريس والوعظ والإرشاد وظل هناك كعالم ومصلح ومحارب للبدع والخرافات وخبث اليهود وقد ترك عددا كبيرا ممن تتلمذوا عليه[6].

واتجه بعدها إلى كانو أين تزوج وأنجب واجتمع بسلطانها عبد الله محمد بن يعقوب وكتب له رسالة يحث فيها على إتباع الشرع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يتضح من خلالها اطلاع المغيلي على أوضاع السودان الغربي وعلى سلوك أمرائها وعادات سكانها[7]، إضافة لحرصه على ضرورة حكم المسلمين بعزم وفق أحكام وقواعد

---

[1]- مقدم مبروك، المرجع السابق، ص: 29.

[2]- أحمد أبا الصافي، **من تاريخ توات أبحاث في التراث**. الجزائر، دار الحضارة، ط1، 2011، ص: 22.

[3]- أبيكن موسى عبد السلام، محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، "**فقه السياسة والحوار الديني**". أعمال الملتقى الدولي بتلمسان يومي 12- 13 ربيع الأول 1433هـ/05-06 فيفري 2012م، تلمسان، منشورات وزارة الشؤون الدينية، 2011، ص: 210.

[4]- أحمد أبا الصافي، المرجع السابق، ص: 23.

[5]- بازينة محمد بزينة، المرجع السابق، ص: 120.

[6]- المغيلي محمد عبد الكريم، المصدر السابق، ص: 211 .

[7]- التمبكتي أحمد بابا، **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**. تق: عبد الحميد عبد الله، طرابلس، دار الكاتب، ط2، د.س.ن، ص: 577.

وقواعد الشريعة، وواصل مسيرته فانتقل إلى التكرور وأقام بعاصمة سنغاي أين التقى بأميرها الأسكيا محمد الكبير ومشى على طريقه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وألف له كتابا عبارة عن إجابات عن بعض المسائل[1]. وكانت زيارته لمنطقة كانو في الربيع الأخر من القرن 9هـ/15م حيث تمكن من وعظ وإرشاد الناس ونشر العلم والمعرفة فيها كذلك شملت نشاطاتها الشؤون الإدارية للبلاد لأنه يشعر بنقص في القوانين والأحكام الدستورية[2].

واهتم المغيلي بالتدريس واعتنى كثيرا بالتأليف، حيث أثمرت جهوده مع حاكم مدينة كاتسينا ماجي إبراهيم الذي فرض على أهل البلاد تطبيق الشريعة الإسلامية، ويتضح بأن الأسكيا الحاج محمد بعد دعوته من الحج من عام 905هـ/1499م بعث إلى مدينة كبي شرق النيجر مجموعة من العلماء للعمل فيها من بينهم عبد الكريم المغيلي، فقام هذا الأخير بواجبه على أكمل وجه، وتمكن من ترسيخ الفهم للإسلام بين الجميع فاعتبر إمام يسير بطريقة علمية ومنهجية وتمكن من وضع مبادئ الفكر الإسلامي ومعارفه في السودان الغربي إلى الحوار دون تعصب ودفع بالجميع بمساعدة زملائه من العلماء على الاحتكام لكاتب الله وسنة رسوله[3]، وأسس مدرسة إسلامية في كاتسينا تولى فيها منصب قاضي القضاة[4].

وهكذا ظل بالسودان عالما مصلحا وفقيها ينتقل عبر أرجاء السودان الغربي أمرا بالمعروف وناهيا عن المنكر إلى أن وصل خبر مقتل ابنه عبد الجبار من طرف يهود توات فغضب غضبا شديدا وطلب من الأسكيا اعتقال كل التواتيين في كانو فاستجاب لطلبه[5]، وبهذا اتضحت مكانة المغيلي بين أهل زمان وزاد رفعه بعفوه عن عن التواتيين الأبرياء الذين لا ذنب لهم فيما حصل، وبعدها عاد إلى توات مع عدد من أصحابه وتلامذته سنة 1503م، واستقر بزاويته مواصلا نشاطه الإصلاحي إلى أن توفي سنة 911هـ/1504م[6].

---

[1]- المغيلي محمد عبد الكريم، المصدر السابق ، ص: 212.

[2]- خالدي مسعود، "محمد بن عبد الكريم المغيلي ودوره الإصلاحي في السودان الغربي". دورية كان التاريخية، ع: 26، ديسمبر 2014، ص: 19.

[3]- بوعتروس أحمد، **الحركات الإصلاحية في إفريقيا جنوب الصحراء إبان القرن13هـ/ 19م**. الجزائر، دار الهدى الجزائر، 2009، ص ص: 84-85.

[4]- المغيلي محمد بن عبد الكريم، المصدر السابق، ص: 212.

[5]- بوعتروس أاحمد، المرجع السابق، ص: 85.

[6]- مقدم مبروك، المرجع السابق، ص: 31.

المبحث الثالث: الطريقة التجانية في السودان الغربي

1- أحمد التيجاني وتأسيس الزاوية التجانية:

هو سيدي أحمد بن محمد التجاني ولد عام 1150هـ/1737م بعين ماضي باعتبار أن جده الرابع سيدي محمد بن سالم من قبيلة عبدة أحواز مدينة أسفى انتقل مع أسرته بالمغرب الأقصى إلى بني توجين أو تجانة، وتزوج منهم وصار أولاده وأحفاده يعرفون بالتجانيين، وبذلك يتضح أن الشيخ سيدي أحمد التيجاني انتسب إلى أخواله في هذا اللقب، وقد ذكر أنه نشأ تربية دينية في كنف أسرة صالحة محافظة[1]. ترعرع في عين ماضي في بيئة علمية باعتبارها مركز المعرفة والولاية والصلاح منذ تأسيسها[2]، وهكذا فحيثما كان يتحرك أحمد التيجاني الطفل ثم الشاب داخل هذه البلدة كان يجد نفسه بين أهل العلم والمعرفة وفي رعاية الفقهاء الصلحاء، وكان كريم الأخلاق مقبلا على الجد والاجتهاد متمسكا بالدين والسنة، اشتغل بطلب العلوم الأصولية والفرعية والأدبية حتى تعمق فيها، ولعل هذه المؤهلات هي التي جعلت سكان عين ماضي يوافقون بالإجماع على خلافته لوالده في رئاسة الزاوية رغم صغر سنه آنذاك حيث كان يبلغ ستة عشر سنة، وهي المهمة التي مارس خلالها لمدة خمس سنوات تدريس القرآن والسنة وعلوم إسلامية أخرى[3].

وارتحل أحمد التيجاني من عين ماضي إلى فاس سنة 1171هـ/1758م[4]. كما ارتحل إلى بلاد الحجاز مرورا مرورا بالمغرب العربي ومصر فمن زاوية الشيخ عبد القادر بن محمد الأبيض بالصحراء انتقل إلى تلمسان ثم غادرها عام 1186هـ/1773م قاصدا زيارة بيت الله الحرام وزيارة قبر النبي عليه السلام، فلما وصل إلى بلاد زواوة وهو في طريق من الجزائر إلى تونس زار شيخ البلدة محمد بن عبد الرحمن الأزهري، وعند وصوله بحث عن شيخها الأكبر الشيخ محمد الكردي المصري دارا وقرارا العراقي أصلا ومنشأ، ولما التقى به جرت بينهما مذاكرات وكان مطلب التيجاني هو الحصول على القبطانية العظمى[5]، ومن مصر توجه بحرا إلى بيت الله الحرام، وكان وصوله عام 1187هـ/1773م فسمع به الشيخ أبي العباس سيدي أحمد الهندي الذي لم يكن له أيضا إذن بملاقاة أحد، ورغم

---

[1]- فرام علي، **جوهر المعني وبلوغ الأماني في فيض سيدي التيجاني**. مصر، المطبعة المحمدية ، مصر، ط2، 1318هـ، ص: 23.

[2]- الأزمي أحمد، **الطريقة التيجانية في المغرب والسودان الغربي**. ج:1، المغرب، مطبعة نضالة، 2000م، ص: 46.

[3]- فرام علي، المرجع السابق، ص ص: 23-24.

[4]- الأزمي أأحمد، المرجع السابق، ج: 1، ص: 47.

[5]- العقبي مؤيد صلاح، **الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها**. بيروت، دار البراق، ط2، 2002، ص: 180.

ذلك أخذ عنه التيجاني علوما وأسرارا من غير ملاقاة له، وتحقق ذلك بواسطة خادمه[1]، ثم عاد إلى القاهرة مع ركب الحجيج ومن مصر عاد إلى تونس ولم يمكث بها طويلا ومنها انتقل إلى تلمسان ثم عاد إلى فاس قصد زيارة مولاي إدريس الأزهر[2].

أ- انتقال الزاوية التيجانية إلى فاس:

بعدما وصل أحمد التيجاني إلى فاس سنة 1213هـ/1798م أسس بها زاويته، واتخذها مقر إقامته بصفة نهائية حتى وافته المنية هناك سنة 1230هـ/1815م[3]، وبهاته المدينة انخرط في طريقته الكثير من المريدين من مختلف الشرائح الاجتماعية من علماء وفقهاء ووزراء وعامة الناس، ومن مدينة فاس انطلق إشعاع الطريقة ليعم باقي أنحاء المغرب من أقصاه إلى أدناه[4]، وقبل أن يشتهر كان يلقي الدروس العلمية بمسجد الديوان، ويسلط الأضواء على ما يطرحه السائلون من قضايا مختلفة دينية ودنيوية[5]، ومع مرور الوقت بدأ نجمه يسطع وأخباره تنتشر في كل أرجاء المدينة فقصده الكثير من الطلبة والمهتمين بتعميق معارفهم[6]، ولم تطل مدة نزول الشيخ أحمد أحمد التيجاني بفاس عند أقارب علي برادة بدرب الطويل[7]، فبعد أن وفق في فرض نفسه على المولى سليمان وأصبح أحد المقربين منه، فمنحه دارا من ملكه الخاص تقع بحي زقاق الرواح المعروفة بدار المرايا ليسكنها مع عائلته[8].

ب- انتقال الطريقة إلى السودان الغربي:

ودخلت التجانية إلى إفريقيا الغربية عبر بوابات ورموز ومشايخ متعددين، أولهم وأبرزهم الشيخ محمد الحافظ بن حبيب الله العلوي الشنقيطي (ت:1831م) بتكليف من مؤسس الطريقة الشيخ سيدي أحمد التجاني

---

[1]- العراقي إدريس، "**اليواقيت العرفانية في التعريف بالشيخ أحمد التيجاني وبطريقته وزاوية الأم التجانية**". ندوة الطريقة التيجانية، بفاس 23-29 ديسمبر 1985، ص: 25.

[2]- الأزمي أحمد، المرجع السابق، ج: 1، ص 57.

[3]- العراقي إدريس، المرجع السابق، ص: 17.

[4]- رازم علي، المرجع السابق، ص: 41.

[5]- محمد العربي بن سايح، **بغية المستفيد لشرح منية المريد**. الرباط، دار الفكر، 1973، ص: 140.

[6]- حرزام علي، المرجع السابق، ص: 49.

[7]- محمد العربي بن سايح، المرجع السابق، ص: 141.

[8]- برايما باري عثمان، المرجع السابق، ص: 188.

لنشرها في الغرب الإفريقي، وعرف سنده في الطريقة التجانية باسم "السند الحافظي"، وعنه أخذ جل علماء ومقدمي الطبقة الأولى من أشياخ التيجانية في الغرب الإفريقي[1].

ومن أبرز رموز الطريقة أيضا الحاج عمر الفوتي الذي أخذها عن الشيخ مولود فال اليعقوبي الشنقيطي (ت:1851)، وفي العصر الحديث نجد الحاج مالك سي (ت:1922) الذي أسس أحد أهم مراكز الصوفية في غرب إفريقيا، وجعل من مدينة تيواون السنغالية مركز إشعاع تيجاني، وعرفت الطريقة أوج انتشارها مع الشيخ إبراهيم أنياس (ت:1975)، وكان لمريده الموريتاني الشيخ الهادي بن السيد بن الشيخ بن سيدي مولود فال (ت:1982)، دور كبير في نشر التجانية في نيجيريا، وما جاورها من بلاد إفريقيا، كما كان لتلميذ عمر الفوتي الشيخ محمد المختار بن أحمد بيللي سال دور كبير في نشر التجانية في المناطق الساحلية، مثل: الغابون وغانا وتوغو، وساحل العاج، وسيراليون، وفي بوركينا فاسو انتشرت بفضل جهود الشيخين أبوبكر ميغا وعبد الله دوكري[2].

جـ- شيخ الطريقة في السودان الغربي عمر بن سعيد الفوتي:

قبل التعريف بشخصية الحاج عمر بن سعيد الفوتي تجدر الإشارة إلى أن الإرهاصات الأولى لنشر التيجانية في السودان الغربي كانت من طرف محمد الحافظ الشنقيطي (ت: 1830م)، ولكنها لم تعرف انتشارا واسعا في المنطقة إلا في عهد عمر الفوتي، وقد ولد غرة شهر رمضان سنة 1211هـ/1797م[3]، في قرية حلوار الواقعة ببلاد فوتاتور على الحدود السنغالية الموريتانية[4]. حفظ حفظ القرآن الكريم، واطلع على شروحه ومعانيه تحت إشراف أخيه ألفا أحمد، ودرس اللغة العربية وعلوم القرآن بعناية والده وزوج أخته لامين ساخو ، ودرس الصحيحين وسعيا وراء المزيد من المعرفة وأخذ العلم من أفواه الرجال، ثم ترك بلدته حلوار لينتقل أولا بين مدن فوتاتور قبل أن شيد الرحال إلى ولاتة جنوب شنقيط التي كانت له بها إقامة طويلة، أخذ خلالها الكثير عن علمائها، وتعرف على الكثير من الشيوخ التجانية بها ثم سافر لقضاء مدة أطول بفوتا جالون أين اشتغل بالتدريس[5]، ومن الأعلام الذين تتلمذ عليهم وتأثر بهم في هذه الفترة مولود فال وعبد الكريم الناقل اللذان مهدا

---

[1]- حمادي لخضر، المرجع السابق، ص: 1.

[2]- محمد سالم محمد، "الأبعاد الاجتماعية للتصوف في غرب إفريقيا: البنى والوظائف والعلاقات". مركز الجزيرة للدراسات، 25 سبتمبر 2018، ص: 5.

[3]- إبراهيم عبد الله عبد الرزاق، **المسلمون والاستعمار الأوروبي لإفريقيا**. مكتبة القادسية، الكويت، 1988، ص: 80.

[4]- بوعتروس أحمد، المرجع السابق، ص: 307.

[5]- جاجو حسين، **حركة الحاج عمر فوتي في السودان الغربي خلال القرن 18**. رسالة ماجستير غير منشورة، إش: أبو قاسم قاسم سعد الله، جامعة الأمير عبد القادر ، قسنطينة 1999، ص: 169.

الطريق له لدخول أبواب التصوف وخصوصا الطريقة التجانية، وكذا العالم المصري جلال الدين السيوطي من خلال نسخه لمخطوط له[1].

ومما لاشك فيه أن الفترة التي قضاها بعيدا عن وطنه وسعت أفق مداركه، كما أن التدريس شحذ عزيمته على بناء شخصيته ووعيه بأهمية العلم ظاهره وباطنه، وهكذا يمكن القول إنه قبل رحيله إلى المشرق العربي كان قد دخل مرحلة الشباب[2]، وهو حافظ لكتاب الله العزيز متمكن من تعاليم الدين الإسلامي، ومن قواعد اللغة العربية وعلى اطلاع كامل بأهم المذاهب الإسلامية، خصوصا المذهب المالكي نتيجة لتتلمذه على أساتذة إما مغاربة أو أخذوا عن المغاربة من بلاد شنقيط، متشبعين بأحكام مهذب مالك وتعاليمه[3]، وهو المذهب الذي وصل إشعاعه إلى الأصقاع الشنقيطية من فاس ومراكش والرباط ومكناس وغيرها من المدن المغربية، مثل ما وصل إلى نفس المنطقة التيجانية التي أعجب صاحبنا بقواعدها الصوفية منذ البداية، ومما دفع إلى أخذ أورادها عن شيخه وأستاذه عبد الكريم الناقل الفوتاجالوني الذي توطدت علاقته به لكثرة ملازمته له إما في بلاد شنقيط بمناسبة التقائهما هناك لأخذ العلم والتصوف، وإما في فوتا جالون بلد الناقل الأصلي[4].

ويبدو أن كثرة تردد عبد الكريم الناقل على بلاد شنقيط جعلته يلتقي بشيوخ التيجانية هناك، فقرر أخذ ورد هذه الطريقة عن أشهر مقدم لها آنذاك بالمنطقة، وهو الشيخ مولود فال الآخذ بدوره عن محمد الحافظ الشنقيطي الذي التقى بالشيخ أحمد التيجاني بفاس فأخذ عنه الأوراد[5]. والواقع أن مولود فال قام بعدة أسفار إلى ما وراء نهر السنغال لنشر الطريقة التيجانية لأول مرة ببلاد التكرور (فوتا تورو) وربما انتقل حتى إلى بلاد فوتا جالون لنفس الغرض، مما يعني أن إشعاع الطريقة كان قد وصل إلى جزء من بلاد السودان الغربي، قبل المجهود الذي سيبذله الحاج عمر الفوتي لنشر تعاليم الطريقة على نطاق أوسع في إفريقيا جنوب الصحراء[6]، وتبعا لما سبق سبق يكون سند الحاج عمر الفوتي في الطريقة التجانية قبل رحلة الحج على الشكل التالي:

سيدي أحمد التيجاني

---

[1]- الأزمي أحمد، المرجع السابق، ج: 2، ص: 355.

[2]- جاجو حسين، المرجع السابق، ص: 171.

[3]- حوتية محمد، المرجع السابق، ج1، ص: 208.

[4]- شقرون محمد، **الإسلام الأسود جنوب الصحراء الكبرى**. بيروت، دار طليعة ط1، 2007، ص: 55.

[5]- الأزمي أحمد، المرجع السابق، ج:1 ، ص: 356.

[6]- جاجو حسين، المرجع السابق، ص: 173.

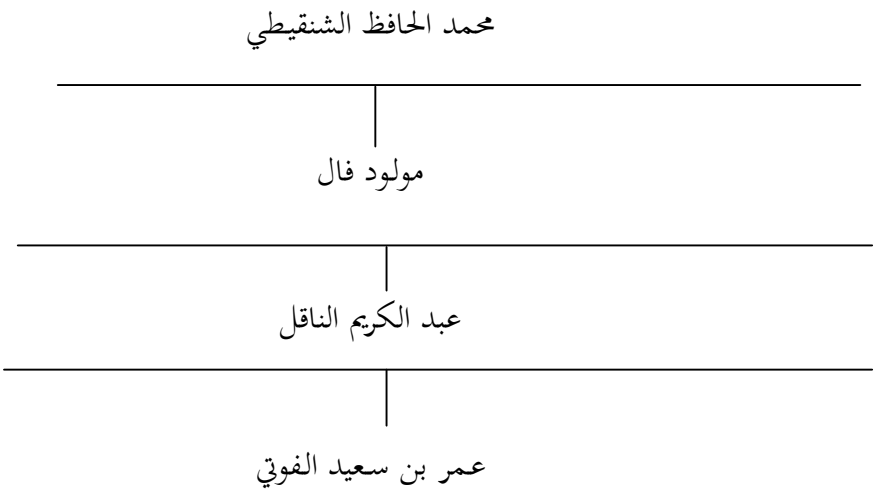

رحلته إلى الحجاز:

لقد حج عمر بن سعيد الفوتي سنة 1825، ومن المحتمل أن يكون أستاذه وشيخه في التصوف عبد الكريم قد تفطن لهذه الرغبة الجامحة لدى تلميذه، في التطلع إلى ما هو أسمى، مما شجعه على زيارة بلاد المشرق بل ويقترح عليه بعد ذلك مرافقته في السفر[1]، ويدعم وجاهة هذا الرأي الصلاحية المحدودة لعبد الكريم الناقل من إعطاء الأوراد[2]، كما يفهم من كلام تلميذه عمر: "...اعلم أن سيدي عبد الكريم ما قضى الله سبحانه وتعالى على يديه إلا الأوراد اللازمة للطريقة وهي الورد والوظيفة وذكر عصر يوم الجمعة، وأما الأفكار الخاصة فما وجدت منها على يديه إلا حزب السيفي..."، ويرتبط هذا التقنين بمرتبة عبد الكريم الناقل بصفته مقدما فقط لا يجوز له معها تعدي الحدود[3]. والتقى في مكة بمحمد الغالي وذكر عمر الفوتي بأن مضيفه وشيخه فرح به فرحا كبيرا وأكرمه، وقدم إليه كتاب جواهر المعاني[4]، وظل مقيما عنده حتى فرا من أداء مناسك الحج، ليشدا الرحال معا إلى المدينة المنورة التي دخلاها في الفاتح من محرم، وتتلمذ علي يديه وحصلت مع أمور بالغة الأهمية تأسس عليها كل مسار مستقبله في التصوف[5].

ووعيا منه بأن الجانب الإديولوجي في تكوينه الروحي المرتكز على التصوف المؤطر بالطريقة التيجانية هو الذي سيعول عليه كسلاح الدعوة والإصلاح، وهو يخاطب عامة الناس والنخبة من الحكام وغير الحكام في

[1]- الأزمي أحمد، المرجع السابق، ج: 2، ص: 358.

[2]- جاجو حسين، المرجع السابق، ص: 175.

[3]- التيجاني حافظ محمد، "**الحاج عمر الفوتي سلطان الدولة التيجانية بغرب إفريقيا شيء من جهاده وتاريخ حياته**". الزاوية التيجانية. 1383هـ/1963م، ص: 124.

[4]- هلال عمار، المرجع السابق، ص 124.

[5]- التجاني محمد حافظ، المرجع السابق، ص: 125.

بلاده[1]، ونجد في كتابه حزب الرحيم وعلى لسانه من المعلومات، ما يبعث على الاعتقاد بأنه استعد لهذه المعركة إديولوجيا، بما لا مزيد عنه من الخبرة والذكاء وبعد النظر بحصوله على كل ما يريد من سند معنوي روحي من أستاذه وشيخه محمد الغالي الذي كان بدوره متحمسا لروية تعاليم الطريقة يعم إشعاعها إفريقيا جنوب الصحراء، وهذا ما كان له أبلغ الأثر في نجاح مهمته فيما بعد[2].

2- انتشار الطريقة التيجانية في السودان الغربي:

أ- مراكز نفوذها:

بسمي أتباع هذه الطريقة بالأحباب، وتميزت عن غيرها من الطرق في السودان الغربي من حيث مراكز نفوذها في المنطقة كونها انتشرت بين رجال القوافل، وكثر أتباعها خاصة في حوض السنغال، وامتدت إلى غاية تمبكت ووصلت إلى سيجو، كما أسس رجال الصوفية من التيجانين زوايا لهم في المنطقة وحتى ببرونو ووداي وشنقيط[3]. ومما يذكر أن الحاج عمر إثر عودته من رحلة الحج أخذ يبحث عن المكان المناسب في السودان الغربي بغية نشر هذه الطريقة، فوقع اختياره على مدينة ديجونكو ليتخذ منها قاعدة، وحاول تقصي أحوال البلاد، وتولى تلك المهمة بنفسه فقام بعدة سفريات إلى المناطق المجاورة في بلاد فوتا تور والولف حتى يتمكن من كسب زعماء هذه المناطق في صفه، وكان له ذلك فانظم له عدد كبير من الأتباع[4]، رغم أن حركته جعلت من التيجانية تبلغ أقصى انتشارها في غرب إفريقيا، إلا أن المناطق التي اتخذها القادريون معقلا لهم لم تتأثر بحركته ولم تدخلها التيجانية مثل شمال السنغال وموريتانيا[5].

وعموما يمكن القول بأن انتشار التيجانية في بلاد الهوسا وغرب إفريقيا كان بفضل جهود الحاج عمر خاصة بعد زيارته لدولة سوكوتو إثر عودته من الحج سنة 1835م، حيث لم يكن تأثير هذه الطريقة التي أتى بها الحاج عمر إلى السودان الغربي أقل من تأثير الطريقة القادرية التي سبقتها[6]، فقد وصل أنصارها إلى الصحراء الكبرى وامتد نفوذها إلى غرب إفريقيا ووسطها[7]، وكان أنصارها يعملون على الوعظ والإرشاد داخل الهوسا التي

---

[1]- سيكرج أحمد، **إزاحة الستار عما في الطريقة التيجانية من أسرار**.د.د.ن، د.م.ن، د.س.ن، ص: 110.

[2]- الأزمي أحمد، المرجع السابق، ج: 2، ص: 361.

[3]- إبراهيم عبد الله عبد الرزاق وشوقي الجمل، المرجع السابق، ص: 55.

[4]- شقرون محمد، المرجع السابق، ص: 256.

[5]- الهمشري محمد علي والسيد أبو الفتوح، المرجع السابق، ص: 62.

[6]- إبراهيم عبد الله عبد الرزاق وشوقي الجمل، المرجع السابق، ص: 56.

[7]- شقرون محمد، المرجع السابق، ص: 57.

التي كانت تقع غرب تشاد وجنوب الصحراء الكبرى، ووصلوا حتى إلى أقصى غرب منطقة فوتا جالون، وكان جهاد عمر الفوتي أول مرة موجها إلى المناطق الوثنية البعيدة عن تعاليم الدين الإسلامي الصحيحة، فاتجهت أنظاره إلى مدينة بامبوك[1] هناك حيث كان يوجد مناجم للذهب، فأثر في العديد من سكان المنطقة الذين كان يعتبرهم متطوعين للجهاد في سبيل نشر دعوته، مما شجعه على مواصلة زحفه وكانت أنظاره هذه المرة نحو المناطق التي ولد فيها[2]، لكن الفرنسيين تصدوا لدعوته حيث وصل إلى نهر السنغال لكن الفرنسيين منعوه من الوصول إلى تلك المدينة، فاضطر إلى الاتجاه نحو عقد هدنة معهم مقابل أن لا يتعرض لهم، ويسمح لهم بممارسة التجارة هناك لكنهم رفضوا اقتراحه ووصل بهم الأمر إلى تأليب شيوخ الطرق الأخرى ضده[3]، ثم توجه نظره إلى المناطق التي انتشرت فيها القادرية، فقد كان يعتبر القادريين جهالا من خلال طريقتهم في التساهل مع الوثنيين، وكانوا متقاعسين عن أداء مهامهم مما أثار سخطه وغضبه[4].

وأصبحت مدن سيغو[5] ونيورو وبنيغرا أهم مراكز للتيجانية فقد كانوا بمثابة المنافذ والمعابر الرئيسية للطريقة في المنطقة، وكان للشيخ المختار بن أحمد المولود دور كبير في تقدم الطريقة إلى المناطق الساحلية من السودان الغربي، بدء من الغابون ووصولا لغانا، حيث توغلت الطريقة حتى توغو وساحل العاج وسيراليون، كما امتدت حدودها إلى كانو بواسطة أحد مريدي الحاج عمر فوتي يدعى سمبا الفولاني الذي ينحدر أصله من مدينة نيورو بمالي الحالة[6]، وكان أكثر أتباع الطريقة من أهالي ماسينا وفوتا تور وفوتا جالون حيث كانوا سادة للسودان الغربي امتدادا من تمبكتو إلى الأفيانوس الأطلنتيكي على مدار أربعين عاما[7]، وامتدت الزوايا المركزية للطريقة في معظم مناطق السنغال، ومن أشهر هذه الزوايا زاوية كينيا وزاوية الحاج محمد باه جنوب السنغال في مدينة غوناس،

---

[1] – **بامبوك**: إمارة واسعة الإطراف تمتد بين السنغال الأعلى ونهر الغاليمي يغلب عليها العنصر الوثني. ينظر: جاجو حسين، المرجع السابق، ص: 71.

[2] – مفتاح عبد الباقي، **أضواء على التيجاني وأتباعه**. مدونة الولي الصالح سيدي بن عزوز، د.م.ن، د.ت.ن، ص: 113.

[3] – إبراهيم عبد الله عبد الرزاق وشوقي الجمل، المرجع السابق، ص: 58.

[4] – برايما باري عثمان، المرجع السابق، ص: 238.

[5] – **سيغو**: يحدها السنغال شمالا وغربا المحيط الأطلسي وجنوبا الغينيتان وشمالا موريتانيا. ينظر: سيلا عبد القادر، المرجع السابق، ص: 25

[6] – شكيب أرسلان، المرجع السابق، ص: 397.

[7] – سيلا عبد القادر، المرجع السابق، ص: 138.

وكان لأتباع الزاوية نظام خاص يتضمن الإنتاج الزراعي والاقتصادي حيث الزوايا كان تأثيرها أقل درجة غير أنها شهدت إقبالا ملحوظا[1].

ب- أسباب انتشارها: الظروف والعوامل:

في حدود سنة 1840م تذكر المصادر التاريخية أن محمد الصغير ابن التيجاني وضع يده في يد الماريشال فاني، أي انه تحالف مع الاحتلال الفرنسي ضد الأمير عبد القادر، وبهذه الخطوة التي أقدم عليها انتهى دور التيجانية في الجزائر، وبذلك تقلص عدد أتباعها هناك، حيث أن ابن التيجاني عمل على نشر طريقة أبيه فكانت أنظاره هو وأتباعه قد وقعت على إفريقيا الوسطى والسودان الغربي، ولم يكن نشاطهم دعويا بحتا[2]، وإنما جعلوا من التجارة معبرا ينشرون طريقتهم بواسطتها، فأقاموا علاقات مع أهل السودان الغربي جنوا من خلالها أرباحا طائلة، وقد انشئوا قوافل تجارية عبروا بها إلى قلب الصحراء مرورا بأدرار إلى تلك المناطق في السودان الغربي، وقاموا بتوفير جميع الشروط والظروف الملائمة لتسيير تجارتهم على أحسن وجه، وحاولوا الحفاظ على علاقتهم التجارية بسكان تلك المنطقة، وقد مروا بمدن شهيرة في تلك المنطقة منها تمبكت وسيغو وحتى السنغال ذهابا وعودة[3].

بالإضافة إلى هذه الطريقة على خلاف الطرق الأخرى كانت تستخدم القوة في دعوتها، مما عمل على قيام مراكز كثيرة لها وصلت حتى إلى مراكش، وأما عن امتدادها إلى السودان الغربي فيرجع الفضل في ذلك إلى الحاج عمر فوتي الذي كان ينظر الناس إليه نظرة المهدي المنتظر[4]، وزيادة على ذلك فان والده كذلك كان مرابطا مرابطا كما أن دراسته بالأزهر لفترة من الزمن ساعدته، ورحلة الحج التي قام بها كذلك لها دور في ذلك[5]، حيث أثناء رحلته تلك التي قام بها سنة 1826م التقى بشيخ من شيوخ التيجانية يدعى عبد الكريم النقيل، درس على يده مبادئ هذه الطريقة، وقام بتحسين علاقته مع سكان ماسينا التي كانت وثنية آنذاك[6]، وعمل على نشر الدعوة بين الأسرة الحاكمة كما تذكر المصادر التاريخية انه التقى بأحد رفقاء مؤسس الطريقة التيجانية خليفة أحمد

---

[1]- برايما باري عثمان، المرجع السابق، ص: 238.

[2]- هلال عمار، المرجع السابق، ص: 125.

[3]- برايما باري عثمان، المرجع السابق، ص: 239.

[4]- التيجاني محمد حافظ، المرجع السابق، ص: 4.

[5]- إبراهيم عبد الله عبد الرزاق وشوقي الجمل، المرجع السابق، ص: 65.

[6]- الغربي محمد، **بداية الحكم الغربي في السودان الغربي**. ج: 1، إش: نقولا زيادة، الكويت، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، والنشر، 1982م، ص: 593.

التيجاني في الحجاز[1]، وقد درس على يديه ثلاث سنوات، وحصل على إجازة مكنته من أن يكون شيخا للطريقة وأصبح مخولا بإرشاد الناس ونشر مبادئ الطريقة في بلده في السودان الغربي، وكانت الطريقة ذات توجه صوفي وسياسي في آن واحد فقد أسس الحاج عمر دولته، بعد تلقيه ورد الطريقة بحماس دولة تيجانية حيث نالت طريقته إعجاب أغلبية سكان المنطقة والمناطق المجاورة في السودان الغربي بفضل توجهه السياسي الذي ساعد على نشرها[2].

ومن العوامل التي ساعدت أيضا على امتداد هذه الطريقة ووصولها إلى هذه المناطق في السودان الغربي، أنهم كانوا متأثرين تأثيرا بالغا بالتصوف المغربي نتيجة لحركة الهجرة الممتدة من منطقة المغرب نحو السودان الغربي، كما كان لرحلات الحج دور مهم في ذلك، حيث تمكنوا من خلالها من الوصول إلى الكتب والمؤلفات التيجانية التي أبدت تأثيرا واضحا وعميقا على تلك المناطق، ومن أمثلة هذه الكتب دلائل الخيرات[3]، كتاب جوهر المعاني لصاحبه علي قزام من أشهر تلامذة الشيخ التيجاني، والذي أخذ عنه عمر فوتي ورد التيجاني كما ساعد انتماء السلاطين في منطقة السودان الغربي لهذه الطريقة على نشرها ومن أمثلة ذلك اعتناق محمد جالو بن عثمان سلطان سوكوتو شمال غرب نيجيريا للطريقة مباشرة بعد تواصله مع الحاج عمر[4].

كما ساعدت كثرة المدارس التي أنشاها وبناها التيجانيون على ترسيخ تعاليم الطريقة ومبادئها التي كانت متأثرة بدعوة المرابطين وبتعاليم القادرية[5]، كما كانت لانتصارات الحاج عمر التي حققها بين الوثنيين ولشخصيته ولشخصيته القيادية دور بالغ في ذلك وهذا ما أكده توماس أرنولد في كتابه الدعوة لنشر الإسلام، حيث وصفه بأنه رجل كريم السجايا وذو نفوذ شخصي ومظهر يومي بالسيطرة والقوة[6].

كما كان لتوجهاته السياسية عامل مهم في جعله على اطلاع واسع بما كان يحدث من تطورات داخل السودان الغربي، فقد سعى من خلال توجهه إلى تأسيس سلطنة تقوم على مبادئ هذه الطريقة، حيث جند بفضلها عددا كبيرا من الفولانيين والتكرور وكذلك التوردبي، وقد فشل في ذلك مما جعله دفعه إلى الرغبة في التوسع

---

[1]- شلبي أحمد، المرجع السابق، ص: 215.

[2]- الغربي محمد، المرجع السابق، ج: 1، ص: 594.

[3]- إبراهيم عبد الله عبد الرزاق وشوقي الجمل، المرجع السابق، ص: 66.

[4]- الفلاني الطيب عبد الرحيم، المرجع السابق، ص 170.

[5]- شلبي أحمد، المرجع السابق، ص: 220.

[6]- حوتية محمد، المرجع السابق، ص: 212.

من خلال محاولاته المستمرة في تطوير حركته[1]، حيث كان يشرف على دعم إتباعه وتجنيدهم بنفسه مما يعني أن هذه الطريقة التي اتخذها الحج عمر شعارا له، كان الجهاد من الأسباب الرئيسية التي ساعدت على انتشارها هناك، وقد ساعده في ذلك مجموعة من التجار حيث قاموا بدعمه بالذخيرة والأسلحة مما أدى إلى تشكيل قوة كافية تمكنه من تحقيق هدفه وتساعده على مواصلة دربه في نشر طريقته بين قومه[2].

ومن الأسباب التي أدت إلى انتشارها أيضا تكالب الأوروبيون على القارة الإفريقية حيث ازدادت أطماعهم للتوغل داخل أغلبية أقاليمها، وقد كان رجال الاستعمار يشجعون جماعات من الصوفية ويقومون بإغرائهم بالأموال حتى يتسنى لهم تشويه صورة الإسلام وذلك بنشر أفكار مخالفة ومعارضة لتقاليد مجتمعنا الإسلامي[3]. كما أن عمر فوتي لما عاد من المشرق لاحظ ضعف الوازع الديني عند المسلمين، فرأى بأنه مخول لينصر أبناء دينه، لذا شرع عند عودته في نشر الإسلام في المناطق التي كانت تكثر فيها الديانات الوثنية[4]، وكذلك عمد إلى تطهير الدين من الشوائب خاصة في الأقطار التي يوجد فيها المسلمين، وقد أكد المستشرق ديمون أن موقف عمر فوتي كان يرى بأن القادرية لم تعد مجدية لنشر الإسلام حيث أنها لم تكن تدعو للجهاد وتبالغ في التسامح مع الوثنيين[5].

3- فروعها بالسودان الغربي:

أ- الطريقة الحموية:

أسسها الشيخ الموريتاني أحمد حماه الله بن سيدينا عمر التيشيتي (ت: 1943/1/16)، الذي توفي منفيا في فرنسا بعد فترات نفي أخرى في دول إفريقية متعددة، وقد أسهمت تلك المنافي في نشر الإسلام والطريقة الحموية في دول عديدة من الغرب الإفريقي، وكان المنفى الأخير بداية إشعاع روحي ربط سيرة الشيخ حماه الله بفكرة الغيبة والانتظار التي تتقاطع بشكل كبير مع بعض الأدبيات الشيعية. واتخذت الطريقة الحموية من مدينة انيور المالية مستقرا لها حيث يقيم خليفتها الحالي، وخلال زمن قصير انتشرت الطريقة في أصقاع كبيرة من إفريقيا الغربية خصوصا في مالي وساحل العاج وغينيا كوناكري وغينيا بيساو[6].

---

[1]- بايزينة عبد الله سالم، المرجع السابق، ص: 207.

[2]- سيكرج أحمد، المرجع السابق، ص: 210.

[3]- إبراهيم عبد الرزاق، **المسلمون والاستعمار الأوروبي في إفريقيا**، ص: 68.

[4]- بوعتروس أحمد، المرجع السابق، ص: 30.

[5]- أجاي أداي، **تاريخ إفريقيا المعاصر**. لبنان، دار الغرب الإسلامي، 1989، ص: 613.

[6]- محمد سالم محمد، المرجع السابق، ص: 5.

ب- الطريقة المريدية:

أسسها الشيخ أحمد بمبا بن حبيب الله السنغالي (1851-1927م) من قبيلة الولوف، كان في بدايته قادريا ثم تحول للتيجانية، لذا أصبحت المريدية مستقلة عن القادرية، فهي ليست فرعا عنها، ظهرت الطريقة سنة 1886م بمدينة طوبا، وتقوم على مزج أوراد القادرية بأوراد التيجانية، وعلى طاعة الشيخ[1]، وعرفت الطريقة انتشار واسعا في السنغال نتيجة تعرض البلد للاحتلال الفرنسي، فالتفت قبائل الولوف حول شيخها أحمد بمبا للدفاع عن بلدهم مما عرضه للنفي والاضطهاد من قبل الفرنسيين؛ فنفي لموريتانيا والكاميرون[2].

[1]- مسعودي زهرة، ص: 78.

[2]- محمد سالم محمد، المرجع السابق، ص: 6.

الفصل الثاني

تأثيرات القادرية والتيجانية في السودان الغربي

المبحث الأول:تأثيرات القادرية في السودان الغربي

1- الشيخ عبد الكريم المغيلي و تأثيراته السياسية:

2- الشيخ الكنتي ودوره الإصلاحي (ت: 959هـ/1552م):

3- حركة الشيخ عثمان بن فودي ونشاطه الإصلاحي

المبحث الثاني:تأثير الطريقة التيجانية على السودان الغربي

1- إصلاحات التيجانيون.

2- موقف الطريقة التيجانية من قضية المقاومة في غرب إفريقيا.

3- قيام المملكة التيجانية وأبرز خلافائها الحاج عمر.

المبحث الثالث:الصراع القادري التيجاني

1- بداية الصراع.

2- أسباب الخلاف القادري التيجاني.

المبحث الأول:تأثيرات القادرية في السودان الغربي

1- الشيخ عبد الكريم المغيلي وتأثيراته السياسية :

تحدثنا أعلاه عن رحلة المغيلي إلى بلاد السودان الغربي ودوره الإصلاحي والتعليمي فيها، وأثناء هذه الزيارة كان قد تقلد القضاء والاستشارة لدى بعض الملوك، ففي كانو التقى المغيلي بحاكمها محمد بن يعقوب ريفا الذي عينه كمستشار له، وطلب منه أن يكتب له فيها يخص أمور الدنيا والسلطنة فكتب له ما يخصه على إتباع الشرع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقرر لهم أحكام الشرع وقواعده، على منوال الأحكام السلطانية للماوردي[1].

أ- رسالة ووصية المغيلي لأمير كانو:

جاءت هذه الرسالة في ثمانية أبواب بحسب الموضوعات التي طرحها، **الباب الأول** يجب على الأمير حسن النية في الإمارة، وان كان على كل ذي عقل الابتعاد عنها إلا إذا لم يكن له بد منها، فتوكل على الله فيها واستعن به، وليكن عملك كله خالصا لوجه الله، و**الباب الثاني** يجب على الأمير تحسين الهيئة في مجلسه، وإظهار حب الخير وأهله، وبغض الشر وأهله، وأن يعتدل في لباسه، غير مبذر لبيت المال، ويقرب إليه الأخيار والعلماء والأتقياء والصلحاء، و**الباب الثالث** فيما يجب عليه من ترتيب مملكته على ما يتمكن من أصلاحها لأنه راع على جميعهم، ولا يمكنه أداء ذلك إلا بنواب، كالوزراء والإمامة والقضاة والأمناء[2]، و**الباب الرابع** التزام الحذر في الحضر والسفر بإظهار القوة والجلد عن تغيير الأحوال، وإظهار الزهد في الصاحية والولد لئلا يمنعه ذلك عن العدل، وحب الخروج للجهاد وبغض المقام في الديار وأن يكتم سره، **الباب الخامس** فيما يجب كشفه عن الأمور التي يجهل في رعيته، بالعدول والأمناء وكأمور الأعداء بالجساس والأمناء[3].

أما **الباب السادس** فيما يجب عليه من العدل والإحسان فالعدل أن يوفي كل ذي حق حقه، أما الإحسان فهو أن يتفضل من نفسه،أي يزيد لكل من أراد أن يحسن عليه زيادة على صفة مما كان من نصيبه إلا ما كان من نصيب غيره، ومن العدل أن يساوي بين الخصمين في جميع أمورهما، وأن لا يقبل من الشهود إلا من

---

[1]- التمبكتي أحمد بابا، المصدر السابق،ج:1، ص: 577.

[2]- مقدم حسين مبروك، المرجع سابق، ص: 113

[3]- حسين أحمد إلياس، "دور الصوفية في المجتمعات الإفريقية جنوب الصحراء (9-13هـ)(15-19م) السودان نموذجا". مجلة الجامعة الأسمرية، ليبيا، السنة الثالثة، ع: 42، ص: 316.

كان عادلا، رضي فيمالا تهمة له فيه، فإذا تعذرت العدالة فعليه أن يراعي أمثالهما[1]، وتطرق **الباب السابع** فيما يجب عليه من جني الأموال من وجوه الحلال، وملاك السلطنة هو الكف عن أموال الناس بأن لا يطلب منهم شيئا لم يكلفه الله به، والطمع في أموالهم خراب للمملكة، فمن الأموال التي حللها الله للأمراء قبضها وصرفها، هي: العيد والحرث والماشية وزكاة الفطر والمعدن وخمس الغنيمة والركائز وأموال الحرابة والصلح، وما يؤخذ من تجار أهلها وتركة الأوراث، وما أفاء الله به من أموال أهل الحرب بلا حرب، وعن الأموال المحرمة أموال الظلم كأخذ أموال التولية على القضاء، والرشاد لسلطان وقاض وعامل، وقبول الهدية حيث إذا دخلت الهدية على ذي سلطان خرج عنه العدل والأمان وصار صاحبه بالخيان[2].

و**الباب الثامن** جاء في مصارف أموال الله إذ يجب على الأمير صرف أموال الله بالكرم لا بالبخل، والتبذير والكرم وبذل ما يحتاج له عند الحاجة المستحقة بقدر الطاقة، فمن خرج عن هذا الحد فقد تعد وظلم، وهو إما بخيل أو مبذر في أرزاق بيت المال، وفي كيلهما خراب للمملكة، فمال الله قسمان: قسم زكاة مصارفه الأصناف الثمانية التي في القرآن، والقسم الثاني الفيء كالخمس والركاز والتي ذكرت سابقا حصر فيها حكمه إلى الأمام تصرفه في المصالح بالتقوى لا بالهواء[3].

كما كتب الشيخ المغيلي وصية لملك كانو، بعد أنسأله عما يجوز للحكام في ردع الناس عن الحرام، وهي رسالة التي تتضح من مضمونها الحركة الإصلاحية النشيطة التي قام بها المغيلي في بلاد إفريقيا جنوب الصحراء[4]، ويمكن إيجازها فيما يلي:لابد من ردع المفاسد الدينية والدنيوية بالمقامع الشرعية حسب الطاقة البشرية، فلكل داء دواء، ولكل مقام مقال وفعال بحسب ما يظهر في الأحوال، وامنع جميع أهل البلاد عن جميع أنواع الشرك وكشف العورة وشرب الخمر، وغير ذلك من المحرمات، وامتنع الكفار من أن يظهروا ذلك بين المسلمين في الأسواق والمنازل، لئلا يفعل ذلك ضعاف العقول من العامة والنسوان والصبيان، ومع عدم فعل بالمفسد ما هو أشد في

---

[1]- مسعودي زهرة، **الطرق الصوفية بتوات وعلاقاتها بغرب إفريقيا من القرن 18-20م**.رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الاجتماعية والإسلامية، جامعة أدرار، 2009/2010،ص: 96.

[2]- بوعزيز يحي، المرجع السابق، ص: 92، 79.

[3]- الآلوري آدم عبد الله، **الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني**.بيروت، الدار العربية، ط2، 1971، ص: 81.

[4]- بوعزيز يحي، المرجع السابق، ص: 99.

ردعه، قد قال عمر بن عبد العزيز: "تحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من الفجور"، وإن الناس في حكم الله ورسوله سواء، فلا تخرج من ذلك عالما ولا عابدا ولا أميرا فأقم حق الله على جميع عباده بالتقوى لا بالهوى"[1].

يتضح من خلال الوثيقتين أن المغيلي أعطى تصورا واضحا للمفاهيم الإسلامية التي يجب أن يلتزم بها الحاكم والمحكوم، كوجوب استشعار أن الإمارة هي خلافة من الله ونيابة عن رسوله صلى الله عليه وسلم، ووجوب إحسان النية فيها، وما يجب على الأمير في خاصة نفسه ومجلسه وبطانته، وترتيب مملكته واختيار أعوانه وعماله، ووجوب التزام الحذر في الحضر والسفر، وشدة مراقبة العمال ومدى التزامهم بالعدل[2]،وما يجب عليه وعليهم من جني الأموال من وجوه الحلال، وصرفها في مصارفها الشرعية، ومنع أهل البلاد عن جميع أنواع الشرك والمحرمات، ومنع كفار البلاد من فعل ذلك، وأن الناس سواء في حكم الله ورسوله[3].

ب- أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي:

رحل الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي إلى صنغاي، ووصل كانو واتصل بالأسقيا محمد الأول سنة 1502م، وكانت أجوبة المغيلي للأسئلة التي اشتغل بها السلطان، وقد تعلقت بانشغالاته السياسية وقضايا تنظيم الإمارة وأحوال الرعية[4]،ومن خلال الإجابات، يمكن قراءة تأكيد المغيلي على المسائل السياسية التالية:أن السلطان راع لا مالك، إذ آن الملك لله وهو الذي يحفظ ويعين الطائع، وكل راع مسئول عن رعيته، ووصى الأمير بالعدل والابتعاد عن أهل الشر وتقريب أهل الخير، كما أن على السلطان إبعاد علماء السوء لأن شرهم مستطير، وهم أضر على المسلمين من جميع المفسدين، وتقريب أهل الذكر واستشارتهم والاستماع إلى نصائحهم، مع وجوب أن يكون الأمير كيسا فطنا له منزلة من العلم والعمل[5].

أيضا جوب معرفة من تجب مجاهدتهم، وعلى الأمير أن يكون عارفا لأوجه الجهاد فلا يجاهد المسلمين، والكفار أصناف ثلاثة: الكفر الصريح، وكفر المسلم المرتد، وكفر مسلم الذي يحكم بكفره، والبلاد ثلاثة السائبة يجوز الجهاد فيها، والثانية التي لها أمير يوسوس الناس في دينهم ودنياهم لا يحل لأحد أن ينازعه في رعيته، والثالثة

[1]- مقدم مبروك، المرجع السابق، ص ص: 120-122.

[2]- ميغا أبوبكر، المرجع السابق، ص: 207.

[3]- الآلوري آدم عبد الله، المرجع السابق، ص: 86.

[4]- المغيلي محمد بن عبد الكريم، **أسئلة الاسقيا وأجوبة المغيلي**. تح: عبد القادر زبادية، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1974، ص: 6.

[5]- مقلاتي عبد الله ورموم محفوظ، **دور منطقة توات الجزائرية في نشر الإسلام والثقافة العربية بإفريقيا الغربية**. دار الشروق، الرباط، ط1، 2009، ص: 126.

أميرها ظالم فإن تيسر خلعه فجائز[1]. واتخاذ المحتسب وبيت المال، وعمال على الأموال في جبايتها من وجهها الشرع، وإنفاقها في وجه الخير وشروط المسئول على مال المسلمين التقوى والعدل، ووجوب محاربة المفسدين ومدعي السحر، لأن فسادهم في البلاد كبير، وعلى الإمام إرجاعهم إلى الصواب ومنع المناكر والمحرمات[2].

وعلى ضوء هذه الأجوبة يتجلى بوضوح اجتهاد الشيخ المغيلي في بحث المسائل الشرعية، وأن فتواه كانت بمثابة قانون شرعي جمع أغلب المسائل التي تنظم الدولة وأحوال المجتمع، وقد امتد تأثير الشيخ المغيلي حتى عصر عثمان بن فودي، حيث اعتبرت الدولة الفلانية قائمة على الأسس التي وضعها أصولها المغيلي، لأن الشيخ عثمان بن فودي يعده مرجعا مهما،كما أن كل من معه يتمسكون برسائله وفتواه[3].

2- الشيخ الكنتي ودوره الإصلاحي (ت: 959هـ/1552م):

كان الشيخ المغيلي خلال رحلته الدعوية التأسيسية في السودان الغربي برفقة بتلميذه الشيخ عمر الكنتي، الذي كان له دور بارز في إكمال رسالة شيخه المغيلي في نشر القادرية ببلاد التكرور، والتي كانت ترمي إلى إصلاح وتصحيح العقيدة وتثبيت الدين الإسلامي[4]، فقد امتص الشيخ عمر ثمرة شيخه المغيلي، ولما أدرك المغيلي الموت قال لبنيه ومريديه قولته المشهورة وهي إحدى علامات الاستخلاف عند المتصوفة:"من كان منكم ملتمسا مني نفعا، فليلتمسه من هذا، فإنه احتوى على جميع ما عندي، وامتصني كما يمتص الأكل الثمرة ويلقي النواة"[5].

واستمرت القادرية في الصعود مع القادريين الكنتيين، لكن المرحلة الحاسمة في تاريخ القادرية بل وفي تاريخ التصوف في غرب إفريقيا كانت مع بروز الشيخ المختار الكنتي الذي يمكن رد تيار التصوف القادري المؤسس في السودان الغربي إليه[6]، فقد تم تأسيس التصوف الطرقي وتأهيله للعب أدوار إصلاحية بالغة الأهمية على يد الشيخ

---

[1]- ميغا أبو بكر، المرجع السابق، ص: 250.

[2]- مقلاتي عبد الله ورموم محفوظ، المرجع السابق، ص: 128. ميغا أبو بكر، المرجع السابق، ص: 129.

[3]- الوزاني الطيب، "مقومات التفاعل الحضاري بين دول إفريقيا والمغرب الأقصى معالجة في التركيب".ضمن كتاب ندوة التواصل الثقافي، جامعة عمر المختار البيضاء، ليبيا،أيلول 2010، ص: 489.

[4]- ميخوت بودواية، المرجع السابق، ص: 264.

[5]- ولد عبد الله عبد الودود، "تحولات التصوف عبر الصحراء من الزاوية الرقادية إلى المدرسة المختارية". الأدب المقاوم في القارة الإفريقية، أعمال ملتقى عيون الأدب العربي، النسخة التاسعة، دورة الشيخ سيدي المختار الكنتي، المغرب، منشورات جمعية النجاح للتنمية الاجتماعية، ط1، 2018، ص: 326.

[6]- مكي حسن، المرجع السابق، ص: 13.

المختار الكنتي، وهو التطور الذي تجاوز القادرية إلى بقية الطرق الصوفية، فالمعتقد فإن تأثير النموذج الطرقي الذي استقرت معالمه في عهد الشيخ الكنتي قد تجاوز مريدي هذه الطريقة ليشمل أغلب التنظيمات الطرقية[1]، كما دعا الشيخ الكنتي بقوة للاجتهاد والتجديد، وانتقد بشدة الجمود والتقليد الذين كانا سائدين في عصره، فشن حملة على فقهاء عصره الذين اقتصروا على المختصرات الفقهية، واكتفوا بها عن الأصول والأمهات[2].

كما شخص الانحطاط الذي عرفه مجتمع السودان الغربي بعد إسقاط المغاربة لدولة صنغاي دون تقديم بديل، مما نتج عنه تدمير السلطنة الإسلامية إلى حدوث نزاع وفوضى، وسلب ونهب وازدهار ثقافة التخليط والوثنية، مما دفع الكنتي إلى تفضيل وجود دولة حتى لو كانت ظالمة على غرار الدولة المغربية على الفوضى، لأنه على الأقل يوجد عند المغاربة فكر المالكية، وحفظ الأمن، وإقامة المؤسسات على الشريعة الإسلامية[3]،كما ركز على أهمية إقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة الجهاد لاجتثاث الشر بشكل نهائي، وشخص الكنتي الشر في انتشار الفتن والبدع والفساد والغفلة، كما دعى لفتح باب الجهاد وسعى كذلك إلى ملئ فراغ الدولة بإقامة شبكة تواصل منظمة وبتراتيب إدارية صوفية لوصل المجتمع رأسيا وأفقيا[4].

3- حركة الشيخ عثمان بن فودي ونشاطه الإصلاحي:

هو عثمان بن محمد بن عثمان بن صالح بن هارون بن محمد بن رجب بن محمد بن تنب بن أيوب بن ماسران بن أيوب بن جكل الملقب بابن فودي وتعني بلغة الفولانيين الفقيه، وقد ولد في بلدة ماراتا بولاية جوبير في ولاية سوكوتو في 1168هـ/1754م[5]، نشأ وترعرع في أسرة ذات طابع ديني، وبيئته صوفية[6]، وتوارثت عائلته العلم والثقافة قبل مولده، وهو ما أتاح له بأن يتعلم على يد والده محمد بن صالح مبادئ علوم العربية وحفظ القرآن والفقه[7]. وتجول الشيخ عثمان من عالم إلى آخر حيث استفاد من علماء الفولانيين والهوسا والبرناويين

---

[1]- ولد عبد الله عبد الودود، المرجع السابق، ص: 325.

[2]- الحمدي أحمد، **المختار الكبير الكنتي، التصوف والعلم بأزواد وإفريقيا**، الجزائر، جمعية البيت للثقافة والفنون، ط1، 2009، ص: 175.

[3]- مكي حسن، المرجع السابق، ص: 14.

[4]- إبراهيم عبد الله عبد الرزاق، المرجع السابق، ص: 149.

[5]- علي باري محمد فاضل وكريدية سعيد إبراهيم، المرجع السابق، ص: 188.

[6]- ابن فودي عثمانبن محمد، **فتح البصائر لتحقيق وضع علوم البواطن والظواهر**. تح: سيني مومونيو سالو الحسن، دار النشر، جدة، 2011،ص: 7.

[7]-زبادية عبد القادر، المرجع السابق، ص: 78.

أمثال محمد بن عبد الله في علم التفسير، كما أخذ الصحاح الست عن الحاج محمد بن تراجي وعن الشيخ جبريل بن عمر وكان من أكبر علماء السودان في ذلك الوقت[1].

كان الشيخ منذ صغره شديد التحمس للدفاع عن الدين وتوجيه الناس فكرس حياته للعلم والتف حوله الكثيرون لما رأوا فيه صفات حميدة وحبه للإصلاح وبعد ذلك ذهب للحج، وعند عودته دهش لما رآه من تحول مسلمي جوبير للوثنية بضغط من نافاتا ملك تلك الولاية، بعدما اعتنق بعضهم الإسلام فحرم على شعبه ذلك ودعاهم للتمسك بوثنيتهم، بالإضافة إلى ذلك انتشار الظلم والفساد في بلاد الهوسا[2]، لذلك تزعم الثورة ضد ملك جويبر الوثني الذي أراد محاربة الإسلام[3]. فقرر عثمان بن فودي إصلاح الأمور دون اللجوء إلى العنف، وبدأ مهمته في شكل دعوى وهو ما أسماه الجهاد الفولي، فبعث برسائل لكل طبقات المجتمع يدعوها إلى الله مبينا قيمة الإسلام في إحياء الأمة ونهوضها وخلاصها من جميع مشاكلها[4]، فبدأ دعوته سنة 1774م بدعوة الناس لاعتناق الإسلام والابتعاد عن الوثنية وإرشاد المسلمين منهم إلى ترك ممارسات وعادات الشرك، ويطلب منهم الاستنارة بمبادئ التوحيد[5].

وفي سبيل نشر الإسلام سافر لعدة أماكن داخل بلاد الهوسا ليعرف بنفسه حياة الناس الاجتماعية والأخلاقية، ومحاولة إقناعهم بإخلاصه، ومن طبيعته كان لا يتدخل في الأمور السياسية مركزا اهتمامه على تعليم الناس وشرح قواعد الإسلام، وكان يتخذ من بلدة "دغل" مقر انطلاقه لأماكن كثيرة ثم يعود لإكمال نشر دعوته وكان يساعده في ذلك بعض تلامذته المخلصين[6]، كما كان الشيخ عثمان بن فودي يرى بأن كل جهاد ما هو إلا ثورة يقوم بها نفر من الناس بهدف إحداث تغيير لواقع اجتماعي معين ومن ثمة يجب أن تكون لكل ثورة منهاجها لتحقيق الأهداف التي تصبو إليها فكان في بداية دعوته يحدث الناس في خمسة أمور رئيسية: أولها: ما فرضته الشريعة من الأصول والفروع الظاهرة والباطنية، والثاني: ما يتعلق بإتباع وترك ما دونها من البدع والمنكرات، والثالث: في رد الآراء الخاطئة في أذهان الطلبة مما تلقوه من علم الكلام وتكفيرهم عامة الناس بلا مبرر شرعي،

---

[1]- زبادية عبد القادر، المرجع نفسه، ص ص: 78-79

[2]-باري محمد فاضل علي كريدية وسعيد إبراهيم، المرجع السابق، ص: 189.

[3]- شترة خير الدين، المرجع السابق، ج: 2، ص: 283.

[4]- باري محمد فاضل وكريدية سعيد إبراهيم، المرجع السابق، ص: 189.

[5]- برايما باري عثمان، المرجع السابق، ص: 100.

[6]- الماحي عبد الرحمن عمر، **انتشار الإسلام في إفريقيا**.، ط2، مجلس الشهادة الثانوية العالمية، الرباط، شوال 1422هـ/جانفي 2002، ص: 87.

حيث عالج هذه الأفكار الخاطئة، وأكد إيمان العامة[1]، أما الرابع: السعي من أجل القضاء على البدع الشيطانية والعمل للتخلص من العادات والتقاليد المناهضة للأسس الصحيحة للشريعة، والخامس: العمل من أجل نشر الوعي الإسلامي بين عامة الناس، ويتحقق هذا المنهج الفكري وأهدافه في ثلاثة عناصر، وهي:

1- العلماء الذين يقومون بدور التوجيه.

2- عامة الناس الذين يقومون بالامتثال لهذا التوجيه

3- الحكام الذين يشرفون على مسيرة هذا التوجيه والامتثال له.

وكان يفسر العلوم بلغة الحاضرين لأنه كان يتحدث بجانب اللغة العربية اللغات الفلانية والهوساوية والتماشك (إحدى لهجات التوارق) فقد استخدم أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة في تربية العامة وساعده في ذلك فهمه العميق لنفسية مجتمعه ومعرفته الدقيقة للأوضاع الاجتماعية والسياسية في البلاد، كما تمكن بأسلوبه المتميز وسلوكه المنفرد أن يكسب قلوب الناس ويقربهم منه على عكس الكثير من العلماء الذين كانوا يشككون العامة في عقائدهم[2]. ومما لا شك فيه أن دعوة الشيخ عثمان الإصلاحية قد وجدت تجاوبا خاصة في أوساط العامة، ويعود السبب في ذلك إلى قيامه بتبليغ الرسالة الإسلامية إلى كل الناس دون تمييز بين الغني والفقير،فدعوته كانت مفتوحة دخلها الناس أفواجا، وتوفي الشيخ عثمان سنة 1817م وأقيم له ضريح ومزار بمدينة سوكوتو وبعد وفاته خلفه ابنه محمد بلو[3]، وتعتبر حركته واحدة من الحركات الإسلامية الفريدة في العالم الإسلامي التي ساهمت في بناء مجتمع إسلامي على أسس ومبادئ سليمة فلقد تركت لنا آثارا وبصمات فكرية وسياسية مازالت عالقة بالأذهان إلى يومنا هذا[4].

لقد لقيت الطريقة القادرية نجاحا كبيرا في إفريقيا الغربية وذلك من خلال كبار مشايخها الذين فرضوا أنفسهم على الناس قاموا بدورهم الإصلاحي على رأسهم الشيخ الكنتي والشيخ عثمان بن فودي فقد كان لهم دور في ترسيخ مبادئ الإسلام والوقوف أمام جميع التحديات المتمثلة في مواجهة الوثنيين.

[1]- باري محمد فاضل علي وكريدية سعيد إبراهيم، المرجع السابق، ص: 197.

[2]- الماحي عبد الرحمن عمر، المرجع السابق، ص: 90.

[3]- باري محمد فاضل علي وكريدية سعيد إبراهيم، المرجع السابق، ص: 199.

[4]- حوتية محمد صالح، المرجع السابق، ص: 224.

المبحث الثاني:تأثير الطريقة التيجانية على السودان الغربي

2- إصلاحات التجانيين:

كانت بلاد السودان الغربي قبل ظهور الحركة الإصلاحية تعيش نوعا من التصدع السياسي والاجتماعي، مما جعل شيخ التجانية بالمنطقة الحاج عمر الفوتي[1] يتوجه نحو هذه الفكرة بين الفئات البسيطة من العامة ليرسخ في ذهنهم فكرة أنه يبحث عن مخرج ليصلح به حال المسلمين ويعيد الإسلام مكانته ومجده بالمنطقة[2]، ولذلك فقد اعتبره المؤرخون واحد من أبرز العلماء بالإضافة لحركته الجهادية في غرب إفريقيا، حيث كان له تأثير واضح في تاريخ السودان الغربي فقد سعى بحركته الإصلاحية إلى إحياء الجهاد[3]، فكان الواعظ الراشد الذي يحثهم على الإصلاح من خلال تنقية الدين مما دخله من شوائب وفساد، محاولا أن يطبق الشريعة الإسلامية في الأمور الدينية والدنيوية،فعمل على بناء المدارس والمراكز بنفسه، فاستفاد أهل السودان الغربي منها، وتعلموا الكتابة واللغة وأصول الدين من فقه وعلوم شرعية مختلفة. وشن حملات واسعة سعيا منه للقضاء على الوثنية، ورغم انشغاله بالجهاد إلا أنه لم يتوقف عن إلقاء دروس الوعظ حتى لجيوشه، فكان له أن حك إمبراطورية واسعة امتد كيانها من تمبكتو إلى المحيط الأطلسي[4].

كما قام التيجانيون أيضا ببناء المدارس والزوايا في موريتانيا والسنغال، حيث انطلقت منها علمية وثقافية وفي نفس الوقت كانوا يسعون إلى ترسيخ الحضارة الإسلامية في غرب إفريقيا، وانحاز إلى صفهم عدد كبير من المريدين حيث عملوا على تلقيهم الدروس والمواعظ والعلوم الظاهرية والباطنة منها، كما كان عمر يتكفل بهم

---

[1]- **عمر بن سعيد الفوتي (1797–1864م)**: ولد في قرية حلوار من بودور على الحدود السنغالية الموريتانية إلى الشرق من مدينة سانت لويس سنة 1797م، كان والده من كبار العلماء الذين نشروا الدعوة بالسنغال لذا تلقى تعليمه الابتدائي في خلوة والده، حيث حفظ القرآن واللغة العربية والتوحيد والتفسير والحديث والتاريخ الإسلامي وغيرها من العلوم. وقام برحلة للحج سنة 1826م مارا عبر طريق المغرب وفاس وتلمسان والقيروان وبرقة ومكة والمدينة وغيرها من الأمصار، حيث تلقى العلم عن شيوخها وأدبائها ووجد القبول بين علماء سوريا والقدس عكس القاهرة إذ واجه مشاكل حول بعض المسائل الفقهية والاعتقادية، توفي سنة 1864. ينظر: عمر أحمد سعيد، "دور حركات التجديد الإسلامي في غرب إفريقيا". مجلة دراسات إفريقية، ع: 6، رجب 1410هـ/فبراير 1990م، ص: 130.

[2]- الهمشري محمد علي آخرون، المرجع السابق، ص: 62.

[3]- باري علي محمد فاضل وكريدية سعيد إبراهيم، المرجع السابق، ص: 199.

[4]- بوعتروسأحمد، المرجع السابق، ص: 314.

بنفسه ويسهر على توفير حل ما يحتاجونه لسير الدروس على أتم وجه[1]، ثم تغير هدفهم من الجهاد ضد الوثنية والعمل على نشر الذين الإسلامي إلى الجهاد التقليدي وهو محاربة الاستعمار الأجنبي[2].

ومن الإصلاحات التي قام بها الحاج عمر الفوتي تقسيم قواته إلى ثلاث مجموعات تتصدرها مجموعة الطلاب الذين كانوا يؤيدونه في نشر الطريقة التيجانية ويساعدونه على ذلك[3]، وتأتي بعدهم مجموعة الصوفيين من الرقيق وغيرهم من المسلمين المتحمسين للجهاد، لتليهم مجموعة التوبور وبحيث يقومون بتجنيد هذه الفئة الأخيرة بالقوة، ويعمل جيشه على تطبيق مبادئ الشريعة مما زاد من عدد أتباع الطريقة، وشهد بذلك الحاكم العام الفرنسي للسنغال،فقد تملكته الدهشة لما رأى اندفاع هؤلاء الجماعات وحماسهم ورغبتهم في الجهاد[4].

3- موقف الطريقة التيجانية من قضية المقاومة في غرب إفريقيا:

ارتبط جهاد التيجانيون في غرب إفريقيا أولا بمحاربة الوثنيين ومحاولة نشر الإسلام في مختلف مناطق هذا الإقليم قبل الاصطدام بالتوسع الاستعماري، فقد مرت مقاومة التجانيين في غرب إفريقيا بمرحلتين أساسين هما: مقاومة مسلحة في عهد حاج عمر الفوتي ثم المقاومة السلمية خلال النصف الأول من القرن العشرين.

أولا: المقاومة المسلحة في عهد حاج عمر الفوتي:

ارتبطت حركة الجهاد في هذه المرحلة بشخصه فعندما رجع من الحجاز عام 1832م، كان متحمسا لنشر الإسلام وتعاليم التيجانية، ومصمما على اقتلاع جذور الوثنية من غرب إفريقيا، بل وحتى تصحيح إسلام مسلمي المنطقة الذي ارتبط كثيرا بالتقاليد الوثنية، موجها اللوم إلى الأمراء المسلمين المحليين الذين كانوا سببا في تراجع الإسلام في المنطقة بتقاعسهم وتسامحهم المفرط، وإلى رجال الطريقة القادرية أيضا[5].

ثانيا: جهاد حاج عمر الفوتيضد الوثنيين:

أصبحت زاوية الحاج عمر بدينغاري مركزا هاما لنشر نشاطه الديني والثقافي،والذي تمكن من خلاله جذب الكثير من السكان للطريقة التجانية[6]،كما مكنه من نشر روح الحماس لدى أتباعه للمشاركة بقوة في حركة الجهاد التي عزم عن طريقها إقامة إمبراطورية إسلامية تيجانية، وأول من مستهم هذه الحركة هي المدن الوثنية،

---

[1]- سيكرج أحمد، مرجع سابق، ص 336.

[2]- الهمشري محمد علي وآخرون، المرجع السابق، ص: 63.

[3]- التجاني محمد الحافظ، المرجع السابق، ص: 07.

[4]- إبراهيم عبد الله عبد الرزاق، **المسلمون والاستعمار الأوروبي في إفريقيا**، ص: 68.

[5]- باري علي محمد فاضل وكريدية سعيد إبراهيم، المرجع السابق، ص: 201.

[6]- بوعزيز يحي، المرجع السابق، ص: 18.

ففي عام 1852م قيل بأن الحاج عمر سمع صوتا يناديه للجهاد، واعتبر ذلك دعوة من الله[1]،وكون جيشا من خمس فيالق ثلاثة من التوكولور واثنين من المنضمين للإسلام، وكل فيلق قسم إلى ثلاثة أدرع، ووصل مجموع أفراد جيشه في البداية إلى اثني عشر ألف مقاتل ازدادوا مع الوقت ليصلوا إلى ثلاثين ألف مقاتل، وآثر هؤلاء الأفراد التخلي عن آبائهم وأمهاتهم من أجل الجنة، وتأسيا بالرسول صلى الله عليه وسلم سمى من انظم إليه من سكان دينغراي بالأنصار ومن هاجر معه إليها بالمهاجرين، وحارب في البداية حاكم إقليم دينغراي وهزمه ثم غزا مدينة بامبوك الغنية بمناجم الذهب، ثم سيطر على إمارة كارتا ودخل عاصمتها نيورو ثم خاسو ثم غالام في حوض السنغال الأوسط، وأصبحت المناطق تتساقط الواحدة تلوى الأخرى، وتمكن من نشر الإسلام والتعاليم التيجانية في كل هذه المناطق معتمدا على القوة، وعدم التسامح حتى مع المسلمين المعارضين له[2].

ثالثا: جهاده ضد الاستعمار الفرنسي:

أمام انعدام التكافؤ في القوى حاول الحاج عمر ربح الوقت ومهادنة الفرنسيين مؤقتا بربط علاقات تجارية معهم، حتى يسترجع قواه وينقض عليهم، حيث قابل مدير الشؤون الخارجية لمستعمرة السنغال وأعلن له عن رغبته في تصفية الأجواء السياسية مع فرنسا على أن يبيع له الفرنسيون الأسلحة ويدفعوا له الضرائب مقابل ممارستهم التجارة البحرية[3]، ولكن الفرنسيين كانوا يدركون نواياه، ولم يهتموا لمسعاه، وكان على رأس الإدارة الاستعمارية في السنغال لويس فيدارب المعروف بحنكته وتجربته، والذي كان يطمح إلى تكوين إمبراطورية فرنسية تمتد من السنغال جنوبا إلى شمال إفريقيا على البحر المتوسط شمالا، تجسيدا لرغبة نابليون الثالث (1848-1870م) وكانت سياسة فيدارب في المنطقة تركز على جر الحاج عمر إلى الاصطدام ببعض الزعامات المحلية لإضعافه ومنهم احد أفراد الأسرة الحاكمة في كاسو المدعو "سامبالا" عدو الحاج عمر[4].

لويس فيدارب وهو يخطط للقضاء على الحاج عمر، واجه مشكلة مع قبائل توازرة في موريتانيا، حيث قام زعيمهم محمد الحبيب الذي له علاقات حسنة مع الحاج عمر بحرب ضد الفرنسيين، وكان على فيدارب معالجة هذه المشكلة بسرعة، لأن اتحاد الزعيمين سيعرض بلا شك الوجود الفرنسي للخطر ولذلك اضطر إلى عقد معاهدة مع محمد الحبيب سنة 1858م، واعترف هذا الأخير بالحماية الفرنسية، وتفرغ بذلك فيدارب لحركة الحاج

[1]- مفتاح عبد الباقي، المرجع السابق، ص: 168.

[2]- إبراهيم عبد الله عبد الرزاق، المرجع السابق، ص: 66.

[3]- بوعتروس أحمد، المرجع السابق، ص: 319.

[4]- إبراهيم عبد الله عبد الرزاق، المرجع السابق، ص: 79.

عمر[1]، لم يتوقف الحاج عمر عن مضايقة الفرنسيين فقط، بل وصل نفوذه إلى غامبيا التي كانت خاضعة للانجليز،وثار سكانها ضد الوجود الانجليزي، ولم تتمكن بريطانيا من إخماد هذه الثورة حتى تحالفت مع الفرنسيين مما جعل هؤلاء الآخرين يدركون خطورة الموقف ولجئواإلى التحالف مع قبائل البمبارا الوثنية وتقديم الدعم لها لمحاربة الحاج عمر، انتقل الحاج عمر الى المواجهة المباشرة مع الفرنسيين، حيث بادر إلى الهجوم على مراكز الفرنسية، ووجه من جديد دعوة الى سكان سان لويس للتوقف عن التعاون مع الفرنسيين، كما قام بعرقلة النشاطات التجارية الفرنسية وطرد التجار الفرنسيين بين منطقة باقل وبودور وهاجم "خاسو" التي كانت وقعت تحت السيطرة الفرنسية، وبني فيها فيدارب حصنا، وكلف الضابط "بول هول" بالإشراف عليه حاصر الحاج عمر المدينة إلى غاية نفاذ مؤونة الفرنسيين وكادوا يستسلمون لولا سقوط أمطار غزيرة عرقلة نشاط أتباع الحاج عمر، واغتنم هول الفرصة في ظل ضعف أسلحة الحاج عمر للخروج له ودارت معركة كبيرة بينهما، انهزم فيا الحاج عمر، وعاد سنة 1858م إلى فوتا تور وجمع 40 ألف رجل من المقاتلين استعدادا لمنازلة الفرنسيين من جديد[2]،وحصل الفرنسيون على المزيد من الدعم العسكري أمام إحساسهم بازدياد نفوذ الحاج عمر وهذا الدعم المتزايد، مما دفع بهذا الأخير إلى توجيه نشاطه إلى أعالي نهر النيجر، محاولا قطع الطريق أمام حلفاء فرنسا من الوثنيين وإضعاف القدرات القتالية للفرنسيين فهاجم البمبارا الوثنيين في سيغو في 10 مارس 1861م وبعد ما نقل فيدارب إلى الجزائر كقائد لمقاطعة سيدي بلعباس أرغم سكانها على اعتناق الإسلام، أبنى حصونا حول المدينة، وعين ابنه أحمد أميرا عليها، وضم ماسينا عاصمتها حمد الله في 16 ماي 1862م[3].

وبعد عوته مرة أخرى للسنغال سنة 1863م،كحاكم عام في عهدته الثانية، اندهش كثيرا للقوة التي وصل إليها الحاج عمر،وأحس بالخطر على الوجود الفرنسي في غرب إفريقيا، حينئذ دعم ملك ماسينا عدو الحاج عمر وفرض عليه الحصار في حمد الله، وصمد الحاج عمر مدة ثانية أشهر كاملة، وحينما م تصله النجدة أضرم النار في المدينة سنة 1864م وغادرها نحو مدينة بانداغارا، فلحقه أعداؤه واضطر إلى الاحتماء بإحدى المغارات فحاصروه

[1]- بوعتروس أحمد، المرجع السابق، ص: 320.

[2]- بوعتروس احمد، مرجع سابق، ص: 321.

[3]- إبراهيم عبد الله عبد الرزاق، المرجع السابق، ص: 79.

مدة أربعة أيام[1]، استشهد بعد حدوث انفجار قوي داخل المغارة في 3 رمضان 1280هـ/12 فبراير1864م عن عمر ناهز 70 سنة[2].

وواصل من بعده عدة شيوخ تيجانيين المقاومة السلمية خلال النصف الأول من القرن 20م، نذكر منهم على سبيل المثال سعيد النور التيل، وإبراهيم نياس، والشيخ مالك سي، والشيخ شريف أحمد حماه الله، وكل الشيوخ الأوائل عدا حماه الله فضلوا مهادنة الاستعمار الفرنسي وإظهار حسن نواياهم تجاهه والتظاهر بالتعاون معه، فقد كانوا يرون في المقاومة المسلحة دمارا للمسلمين في غرب إفريقيا في ظل التفوق العسكري الكبير الذي تمتع به المستعمر، واستدلوا بذلك بما خلفته مقاومة الحاج عمر طيلة سنوات من المعارك من قتلى ويتامى وفقر وتدمير وحرق للقرى، وفضل كل واحد منهم مواجهة الاستعمار بالإصلاح مع التوعية والوقوف في وجه مخططات التفرقة وضرب مقدسات المسلمين والعمل على صيانة أسس الهوية الوطنية لشعوب غرب إفريقيا[3].

4- قيام المملكة التيجانية وأبرز خلفاء الحاج عمر:

لقد كان الحاج عمر يطمح إلى إقامة دولة في غرب إفريقيا تسير وفق منهج الإسلام ورغم أنه واجه عوائق كثيرة في طرقه أبرزها جيوش الاحتلال غير انه تمكن من تحقيق جزء كبير من أهدافه، حيث انخرط كثيرون من سكان المنطقة التيجانية ونشرت بينهم تعاليم الدين الإسلامي بعيدا عن الوثنية والتخلف، ومن أشهر تلاميذه المختار بن وديعة الله، ومحمد بن عثمان صاحب كتاب حسم الجدال، وقد توفي عام 1864م وخلفه ابنه أحمد الكبير (ت:1897) حيث سار على خطى أبيه[4]، وسبق وأن عينه والده قبل أن يدركه الموت خليفة التيجانية في السودان الغربي،[5] وقد تردد إليه معظم شيوخ الطريقة التيجانية وفي سنة 1870م عين بشكل رسمي كخليفة عليهم، فحافظ على علاقاته الطبيعية مع سكان بلاد فوتا وكان يتبع منهج والده في نشر الطريقة التيجانية كما استمرت منافسته للطريقة القادرية واستمر عداؤه لها[6].

ومن المؤرخين من ذكر أن الحاج عمر عقب وفاته خلفه ابن أخيه ومريد آخر اسمه أحمد وشيخو حيث يقال أنهم حاولوا ترسيخ فتوحات الحاج عمر وحثوا الشعب الفوتاتوري على الجهاد ضد الاستعمار مما أثار غضب

[1]- بوعتروس أحمد، المرجع السابق، ص: 322.
[2]- باري علي محمد فاضل وكريدية سعيد ابراهيم، المرجع السابق، ص: 206.
[3]- بوعزيز يحي، المرجع السابق، ص: 139.
[4]- مفتاح عبد الباقي، المرجع السابق، ص: 247.
[5]- بوعتروس أحمد،المرجع السابق، ص: 326.
[6]- باري علي محمد فاضل وكريدية سعيد إبراهيم، المرجع السابق، ص: 202.

الفرنسيين[1]، غير أنه توجد رواية تاريخية أخرى مفادها أن الحاج عمر عقب وفاته حدث تنافس شديد بين خلفائه على الزعامة حيث تصارع أبناؤه وأبناء أخيه لينتهي هذا الخلاف في نهاية المطاف بوصول السلطة إلى ولده أحمد، حيث حاول هذا الأخير مواصلة ما سار عليه والده إلا أنه لم يتمكن من ذلك وانهزم أمام فرنسا نهاية القرن التاسع عشر[2].

المتفق عليه أن عائلة الحاج عمر واصلت خلافة التيجانية في غرب إفريقيا من بعده، حيث كان لأحفاد الحاج عمر نصيب في ذلك، فواصلوا رسالة جدهم خاصة في السنغال، كما عملوا على تدريس العلوم الدينية في المنطقة كما فعل جدهم[3]، وبرز في نفس الفترة أقطاب آخرين للتصوف في الطريقة التيجانية في غرب القارة من بينهم الحاج مالك سي الذي ولد سنة 1855م في قرية دغنة ووالده عثمان سي[4]، وتذكر المصادر أنه تربى في كنف خاله ألفا الذي كان مقدما لدى الشيخ عمر الفوتي، حفظ القرآن الكريم وهو صغير السن ودرس مختلف العلوم الفقهية[5]، وكان له رفيق في دعوته يدعى عبد الله أنياس كانت له انجازات كثيرة في الطريقة التيجانية، وقد أخذ وردها عن إبراهيم تيام وهذا الأخير عن عمر الفوتي[6]،كما لمع كذلك في هذه الفترة التي تلت وفاة الحاج عمر القاضي مجغت، الذي توفي في بدايات القرن العشرين، وكان له صلات وثيقة مع علماء الدين بالسنغال، والتقى بالحاج مالك سي وأخذ عنه الطرقة التيجانية وتخلى عن القادرية، وسرعان ما أصبح من أبرز أقطابها في غرب القارة، وكانت له قصائد يمدح فيها الطريقة التيجانية ومؤسسها[7].

نستنتج مما سبق ذكره أن تأثر الطريقة التيجانية في السودان الغربي يكمن جليا في نشر الإسلام بين القبائل الوثنية، كما قاموا بإصلاحات ساعدت في ترسيخ الحضارة الإسلامية في غرب إفريقيا والعمل على ومحاربة الاستعمار الفرنسي، كما تمكنوا من إنشاء سلطنة تيجانية في القرن 19م تقوم وفق مبادئ الإسلام.

---

[1]- أرسلان شكيب، المرجع السابق، ص: 398.

[2]- باري علي محمد فضيل وكريدية سعيد إبراهيم، المرجع السابق، ص: 203.

[3]- شقرون محمد، المرجع السابق، ص: 58.

[4]- مفتاح محمد عبد الباقي، المرجع السابق، ص: 219.

[5]- بوعتروس أحمد، المرجع السابق، ص: 208.

[6]- أنياغ إبراهيم احم، **التصوف في حياة الحاج عبدالله أنياس**، السنغال، الاتحاد الثقافي الإسلامي، 1986،ص: 15.

[7]- مفتاح عبد الباقي، المرجع السابق، ص: 220.

المبحث الثالث:الصراع القادري التيجاني

1- بداية الصراع:

لقد كانت العلاقة بين القادرية والتيجانية في البداية ودية وسلمية وهذا ما يظهر خلال زيارة الحاج عمر لمنطقة سوكوتو، ومكوثه فيها ثمانية سنوات[1]، وبذلك استطاع مصاهرة العائلة الحاكمة وأصبحت له مكانة ضمن هذه العائلة بعد زواجه من ابنة محمد بلو بن عثمان بن فودي (ت:1837م) الذي اعتبر الحاج عمر الفوتي كولي صالح دعاؤه مستجاب عند الله وبذلك كان الحاج ملازم للخليفة محمد بلو حتى أثناء معاركه، واستفاد الحاج عمر هو الآخر من خلال مرافقته له أثناء توزيع الغنائم وسعيه إلى تطبيق الشريعة الإسلامية إضافة إلى استفادته في ميدان الحرب وكيفية تسيير شؤون المجتمع والدولة، ونجد بعض المؤرخين يرون أن تعلق الخليفة محمد بالحاج عمر أوصله إلى ترك وصية بان يكون خليفة له من بعده، لكن حسب رأي مؤلف كتاب "تاريخ صكت" أن محمد بلو أمر الحاج عمر بالرحيل مع ابنته[2]. ولم تدم علاقة الصداقة والقرابة التي كانت بين الطرفين فسرعان ما تحولت إلى خلافات وذلك يرجع إلى عدة أسباب، والسبب الرئيسي اختلافهم في الطرق الصوفية من حيث مبادئها، فقد اتهم الحاج عمر بالكفر وهذا ما جعله يدخل في صراع ضد القادرين أولهم خلفاء ماسينا مع أحمد الثالث حفيد أحمد لوبو الماسيني[3] الدولة التي لطالما اعتبرها شقيقة لدولته[1].

---

[1]- بوعزيز يحي، المرجع السابق، ص 166.

[2]- الشاذلي بهيجة، **الإسلام والدولة في إفريقيا جنوب الصحراء الفكر السياسي عند عثمان بن فودي خلال ق 19م**. المغرب، مركز الدراسات الصحراوية، 2015، ص ص:17-18.

[3]- **الشيخ أحمد لوبو الماسني** (ت: **1260هـ/1844م**): درس الفقه والتفسير والحديث واللغة والتاريخ، وكان قادريا عاد إلى بلاده ماسينا وبدأ في نشر دعوته للإسلام وجهاد الإحيائيين، عارضه حكام ماسينا فتنقل مع أتباع إلى منطقة روندي سبرو غرب جني ومنها أعلن الجهاد ضد الحكام، وهاجم العلماء الذين اعتبرهم أداة طيعة في يد الحكام البصارا لعدم قيامهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثم أعلن نفسه أميرا للمؤمنين وسيطر على جني وماسينا وتمبكتو وكارتا، وأسس مدينة حمد الله سنة 1815م لتكون عاصمة لدولته التي كانت تضم منطقة مالي وبوركينافاسو، ووضع لها نظاما إداريا حازما لمحاربة الظلم والبدع، اعتنى بالنظام العسكري وبالقضاء، وطبق سياسة استقرار البدو الرحل في قرى ثابتة، وأقام نظاما اقتصاديا إسلاميا، وحسن الوضع الثقافي والتعليمي، واعتنى بالناحية الدينية، تبادل السفراء مع عثمان بن فودي وتوطدت العلاقة بينهما. ادعى المهدية وأنه مبعوث لإنقاذ المجتمع الإسلامي في غرب أفريقيا لمحاربة الوثنية، وبعد وفاته ثار الناس على ابنه أحمد الثاني ولكنه تمكن من السيطرة على الوضع وإعادة الأمن والاستقرار للبلاد، وبعد وفاة أحمد الثاني سنة 1852م خلفه ابنه أحمدو الثالث الذي تغلبت عليه قوات عمر بن سعيد الفوتي واستولت على عاصمته سنة 1862م، وانتهت بذلك دولة ماسينا وبدأت المنطقة تنضوي تحت لواء حركة إصلاحية جديدة. ينظر: الغنيمي عبد الفتاح، المرجع السابق. ص: 217. الماحي عبد الرحمن عمر، المرجع السابق. ص: 145.

وبعد وقفه للحرب ضد الوثنيين ومهاجمته لسيغو وكان ذلك لمدة أربعة أشهر، في هذه الأثناء كانت الاتصالات جارية بين أحمد بن أحمدو الحاج عمر تال عن طريق الوسطاء والرسائل على أمل الوصول إلى حل دون التصادم بين المعسكرين الإسلاميين، وهذا ما تضمنه كتابه "بيان ما وقع" لكن لم تجدي هذه الرسائل نفعا بل تأزم الحال مما أدى إلى حرب بين الطرفين، وبذلك قام أحمد بن أحمد بجمع جيش يصل إلى حوالي 600 ألف مقاتل في العاصمة حمد الله، وشرع في إرسال دوريات حربية إلى مشارف سيغو وجعفر أبي بقيادة عمه بالبو[2]، أما بالنسبة للحاج عمر بعدما رأى هذا الاحتشاد الضخم من قبل خصومه على مدينة سيغو التي اعتبرها عاصمة ثانية له، أمر بتوزيع قوات للدفاع على المدينة بقيادة قائده أرطو علي[3].

واشتبك الجيشان في حرب ضارية، استخدمت فيها مختلف الأسلحة كالبنادق والسيوف والرماح والأقواس، وانتهت بتقهقر الجيش الماسيني وتراجعه، وبعد هذه المعركة هدأت الأحوال نسبيا سنة 1860م، إذ قام الحاج عمر ببناء المساجد في سيغو ونصب الأئمة والمؤذنين، وأمر بإعادة بناء المدينة من جديد، وقبل أن يلتقي الجمعان في المعركة القادمة كانت هناك محاولة ثانية من قبل الوسطاء لحل الخلاف الموجود بينهما ولكن فشلوا فيها، وفي يوم الأربعاء دعا الحاج عمر بعد صلاة الفطر أنصاره إلى الثبات وعقد الراية لقائده الفلاني محمد سيد نكي من فوتا جالون وأمر بالتقدم إلى ديبا (DIIBA) والإقامة فيها، وقبل أن يلحق الحاج عمر بالجيش قام باستخلاف ابنه احمد شيخوا ميرا على سيغو، أما هو فلحق الجيش ومعه 800 مقاتل حتى وصلوا أحواض ديبا ثم انسحبوا من إلى قالو (GAALO) مرورا على مدينة تينف (TONGA)، وصولا إلى مانبارما (AMRAB NAMU) حيث توجد الحشود الماسينية الضخمة[4]، والتقى الجيشان في سايول ودار بينهما قتال عنيف وفقد المعسكر الفوتي الكثير من رجاله وانتصر الماسينيون، وفي هذه الموقعة مات "محمد كيل" وكل الجناح الذي كان يقوده، كما مات فيها قائد الحاج عمر المقرب "باف دمبلة"، وضن الجيش الماسيني أنه سيحافظ على ثمرات انتصارهم ولكن حينما أوشكت المعركة القادمة على الاقتراب هرب الفارس حمد جم فلدي من صفوف أحمد بن أحمد وانضم لجيش الحاج عمر،فباح عن الجيش الماسيني للحاج عمر فقال:"يا سيدي شيخ الإسلام الحاج عمر أن

---

[1]- برايما باري عثمان، مرجع سابق، ص 199.

[2]- برايما باري عثمان، المرجع السابق، ص: 199.

[3]- أبو بكر خالدبا، **صور من كفاح المسلمين في إفريقيا الغربية (الحاج عمر الفوتي حياته وجهاده)**، مكتبة دار السلام، نواكشط،2009،ص: 61.

[4]- المرجع نفسه، ص ص:62-64.

ماسينا ستواجهكم بجيرة فرسانها فإن البطل الفارس منهم إذا مات عنه جواده لن يحارب مترجلا فأمر رماتك بتصويب الضربات على الخيول فإن هي ماتت يظهر لكم حقيقة ما قلت"[1].

وقام الحاج عمر بتعديلات تامة في أجنحة صفوف رجاله وبلغ استعداد وواجهتهم ماسينا بستين ألف مقاتل وأكثر من نصفهم خياله وجياد ودخلوا المعركة مستخدمين نفس التشكيل الحربي السابق، وواجهت قوة الفرسان الماسينية وابلا من نيران البنادق المصوبة إلى الخيول، مما أدى لانسحاب الماسيني إلى مشارف موبتي[2]، وأصيب أحمد بن أحمد بجروح في المعركة ففر، فأمر الحاج عمر ألفا عمر سيان وبيلا مع مائة جواد للبحث عنه فلحقوا به في موبتي ووجدوه قد فارق الحياة ثم سارع الحاج عمر وجيشه إلى العاصمة حمد الله، ولما وصلها بايعه أهلها وأمر جيشه أن نسائهم لا تسبى، وأن مالهم ليس لهم حق فيه، وطلب من أهلها أن يبايعوا ابنه أحمدو شيخو نائبا له وخليفته بعد الممات، وهكذا احتل الحاج عمر ماسينا وأصبحت تحت سلطته سنة 1862م، وإضافة إلى هذا الصراع الذي كان بين خليفة القادرية وخليفة التيجانية في غرب القارة، كان الشيخان في تنافس محمود من أجل التمكين لطريقتهما في السودان، إضافة إلى طموح كلاهما لاسيما وأن الطريقة القادرية الكونتية البكائية كانت قديمة وراسخة في هذه المنطقة منذ أواخر القرن 16م[3].

وظهرت الطريقة التيجانية بمفهومها الجهادي ونشر تعاليمها التي شملت بلدان ضفاف نهر السنغال والنيجر على حساب نفوذ الطرقة القادرية انتهجت منذ دخولها المنطقة السودانية الأسلوب السلمي والقدوة الحسنة في نشر تعاليمها وأورادها، عكس التيجانية التي كانت جهادية التوجه، وهذا ما عقد الظروف بين كلا الطرفين، ما جعل أحمد البكاي معارضا لحركة عمر تال (الفوتي) بالقلم والسيف، ويحرض أمراء السودان ضد الحاج عمر ويحذرهم من حركته ويزرع فيهم الخوف من الذهاب لإماراتهم[4]، كما كان يراسل الحاج عمر خاصة الرسالة التي بعثها وهو في مدينة حمد الله وهي مليئة بالتحقير والسب والروح الاستعلائية، فرد الحاج على تلك الاتهامات بصورة اتسمت بالموضوعية مذكرا له بالآية الكريمة:﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ

[1]- أبو بكر خالد با، المرجع السابق، ص: 65.

[2]- بوحارة ليندة وسعادة زهية،المرجع السابق، ص: 61.

[3]- أبو بكر خادل با، المرجع السابق، ص: 76.

[4]- إمباكي خديم، "**عمر فوتي ودوره الإصلاحي في السودان الغربي**". ذكرى مرور مائتي سنة على ميلاد الشيخ عمر فوتي تال، المغرب، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، 2001، ص: 177.

الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾[1] ، إضافة إلى هذه الرسائل وقوفه إلى جانب ملك البمبارا وأكد لهم بأنه سيحميهم ويحمي مملكتهم في مدينة سيغو[2].

وتمكن الحاج عمر من احتلال سيغو وحمد الله، ولم تبق له إلا مدينة تمبكتو مما جعله يحرك جيشه إليها، والسبب في ذلك تلك الرسالة الخطية التي بعثها أحمد البكاي إلى تلميذه موديبو داود يطالبه فيها بالمجيء إلى تمبكتو، والانضمام إلى زعماء ماسينا، وكان موديبو داود قد انضم إلى صفوف الحاج عمر الفوتي وحضر معه الحروب التي دارت في نيورو وسيغو، وأخذ تلك الرسالة وأراها للحاج عمر، فكشف له مؤامرات واستعدادات الماسينيين والكونتيين لاسترداد العاصمة حمد الله، وعزل القوات الفوتية على ماسينا، وبذلك قام الحاج عمر بنداء زعماء ماسينا الذين بايعوه وأطلعهم على تلك الرسالة، وقبل أن يعرف الناس ما الذي سيفعله الحاج عمر تجاه هذا الأمر، هرب عن صفوفه بالبو (عم أحمد بن أحمد) خفية وبعض من أعيان ماسينا وانضموا إلى الثائرين الكونتيين[3]. ولما سمع أحمد البكاي بتحرك جيش الحاج عمر أراد أن يقوم بالمهادنة لتجنب خطر الزحف التيجاني، وقام بمراسلة الحاج عمر يعتذر منه عما بدر منه منذ التقائه في بلاد السلطان محمد بلو، لكن الحاج عمر كان رده على الرسالة بأن يحضر البكاي إلى مدينة حمد الله، لكنه رفض خوفا من إجباره مبايعة الحاج عمر، وبهذا لجا البكاي إلى المواجهة والقوة ضد الحاج عمر وغادر مقره من الصحراء واتجه إلى تمبكتو مع جيشه وكان أتباعه من قبائل الطوارق[4].

وفي سنة 1813م أعد الحاج عمر جيشا بقيادة علي جربي إلى تمبكتو، وبينما الجيش الفوتي يسير وقع في كمين من القوات الماسينية الضخمة ولقي مصرعه أمر الحاج عمر قائده العام ألفا عمر سيرنوبيلا بإغاثة الجيش، وتقدم ألفا إلى تمبكتو ووجدها شبه جزيرة مهجورة واحتلها في 15 يونيو 1853م، وشرع جيشه بنهب المدينة وأخذ ما بها من أثاث ووضعوه في أحمالهم، وفي طريق العودة إلى حمد الله تعرضوا لكمين من القوات الماسينية، خلفوا مصرعهم هم الآخرون منهم قائدهم ألفا عمر سيرنوبيلا[5]، أما البكاي بعد فشله في الهدنة لجأ إلى القوة والمواجهة وسار ليعسكر خارج مدينة تمبكتو مع أتباعه من قبائل الطوارق وقبائل البرابيش، أولاد الهند، أولاد

---

[1]- سورة الفرقان، الآية: 63.

[2]- أبو بكر خالدبا، المرجع السابق، ص: 71.

[3]- المرجع نفسه، ص ص:72-73.

[4]- بوحارة ليندة وسعادة زهية، المرجع السابق، ص: 63

[5]- أبو بكر خالد با، المرجع السابق، ص ص: 73-74.

العوافي بالإضافة إلى قبائل البربر، أما الحاج عمر اتجه على رأس جيشه إلى تمبكتو واصطدم الطرفان في معركة طاحنة انكسر فيها جيش الحاج عمر تال[1]. وفي أفريل 1863م شن الحاج عمر هجوما آخر على الشيخ البكاي غير أنه خسر المعركة للمرة الثانية، فنشر البكاي دعاية في أوساط جيش الحاج عمر بأن الحرب التي يشنها على أتباعه ليست في سبيل الله، وإنما تحقيق أطماع الحاج عمر[2]، وكان لهذه الدعاية أثر كبير في إضعاف الروح المعنوية لدى الكثير من جنود الجيش التكروري، وفي نفس السنة قام بتعيين ابنه الأكبر أحمد ملكا على إمبراطورية ماسينا الفولانية وسيغو البمبارية، مما أثار غضب سكان تلك الدولتين ولما علم الشيخ أحمد البكاي بهذه الانتفاضة حتى قاد جيشا كبيرا من أنصاره والتحق بالثوار في ماسينا ليحاصر معهم مدينة حمد الله مدة تسعة أشهر، أين كان يقيم الحاج عمر وبعض من أنصاره، وفي سنة 1864م، حاول فك الحصار عن المدينة غير أنه لم يفلح في ذلك فقتل في ظروف اكتنفها الغموض[3].

2- أسباب الخلاف القادري–التيجاني:

– اعتبر الحاج عمر أتباع القادرية أعداء وكان الخلاف معهم حول مسألة فقهية وحكم على خصمه أمير ماسينا بالكفر واعتبرهم متهاونين في شؤون دينهم.

– نجح الحاج عمر في تحويل مسلمي غرب إفريقيا إلى اعتناق الطريقة التيجانية فتحول كثير منهم من القادرية إلى التيجاني.

– استخدم الحاج عمر القوة والعنف ضد معارضيه وكان لاعتناقه الطريقة التيجانية اثر كبير على سلوكه الحربي عكس القادريين الذين يمتازون بالتسامح.

– زحف الحاج عمر تال بجيشه على عدة مناطق كمملكة البمبارا ومملكة سيغو وغيرها من المناطق التي كانت تابعة للشيخ أحمد الثالث، فأراد الانتقام من الحاج عمر فتحالف مع الوثنيين لمحاربته.

– رفض ماسينا الحرب إلى جانب الشيخ عمر ضد الفرنسيين عندما طلب من أميرها أحمد الثالث[4].

وكخلاصة يمكن القول أن العلاقة بين القادرية والتيجانية في بادئ الأمر كانت ودية سلمية، إلا أنها سرعان ما تحولت إلى صراع مسلح نتيجة صراعهم حول النفوذ السياسي بالمنطقة.

---

[1]– بوحارة ليندة وسعادة زهية، المرجع السابق، ص: 64

[2]– أداي أجاي، المرجع السابق، ص: 699.

[3]– بوحارة ليندة وسعادة زهية، المرجع السابق، ص: 65

[4]– أبوبكر خالد با، المرجع السابق، ص: 75.

خاتمـــة

بعد دراستنا لموضوع "**التصوف ببلاد السودان الغربي: القادرية والتيجانية نموذجا (القرن 10-13هـ/16-19م)**"، خرجنا بجملة من الاستنتاجات والملاحظات والنتائج، ولعل من أهمها:

- إن تغلغل الإسلام في السودان الغربي تمخض عنه انتشار للطرق الصوفية أيضا كالسنوسية والشاذلية والقادرية والتيجانية، والتي سعى أصحابها للعودة بالدين الإسلامي إلى ما كان عليه أيام الصحابة والسلف، ولكن ذلك لم يحصل بالشكل المطلوب نظرا لغلبة التصوف الفلسفي على التصوف السني، كما حاول علماء المتصوفة خاصة في بداية أمر التصوف دعم عملية التواصل العلمي والحضاري بين بلاد المغرب الإسلامي والسودان الغربي.

- لقد بالغ مؤلفوا كتب التصوف في ذكر خصال ومزايا وصفات علماء الصوفية لحد القدسية، لذا نجد العديد من فقهاء المالكية قد حاربوا الطرقية والتصوف الفلسفي البعيد عن الزهد والشريعة، فقد أبقى بعض المتصوفة بالسودان الغربي على عادة التبرك بالتمائم والتعاويذ لطرد الشر وجلب الخير، وهذا الأمر مخالف للشرع تماما.

- إن للعالم عبد الكريم المغيلي التلمساني الفضل الكبير في نشر وتثبيت الإسلام أولا ثم نشر الفكر الصوفي بالسودان الغربي ثانيا، فانتقلت الطريقة القادرية لبلاد السودان الغربي بفضل توات نتيجة قربها الجغرافي، ناهيك عن دوره الإصلاحي والعلمي بالمنطقة، فقد تخرج على يديه الكثير من العلماء والمريدين أمثال الشيخ أحمد البكاي.

- عرفت هذه الطرق الصوفية نجاحا كبيرا في إفريقيا الغربية وذلك بفضل جهود شيوخها ومريديها، وبفضل مؤلفاتهم، فقد تمكن شيوخها من فرض أنفسهم على الناس فجمعوا في أيديهم بين السلطات الروحية والنفوذ السياسي، بفضل أدوارهم في نشر الإسلام وترسيخ مبادئه وتثبيته في المنطقة، والوقوف أمام جميع التحديات سواء في وجه الوثنيين أو دعاة المسيحية في فترة متأخرة.

- ورغم ذلك فإن هذه الطرق لم تكن تخلو من العيوب فالطريقة القادرية مثلا يعاب عليها أنها تبالغ في تسامحها مع الوثنيين مما أدى إلى ضعفها وتقلص نفوذها في المنطقة، أما التيجانية فهي على عكسها كانت تستخدم القوة في دعوتها مما جعل الأعداء يلتفون حول إماراتها ويطيحون بها، كما أن الفكر الصوفي لم يؤثر بشكل كبير على تغير عادات المجتمع المخالفة لتعاليم الإسلام (التمائم، السحر) بمعنى لم يغير كثيرا في عادات وسلوكيات الفرد الإفريقي خاصة في المناطق البعيدة عن المدن، إذ تطغى الفكرة القبلية على السلوك الديني حتى الثقافة العربية هي الأخرى لم تنتشر بالشكل المطلوب بالمنطقة.

– وعليه فإن الدور الذي لعبته هذه الطرق عموما يتجلى في اعتبارها من أهم العوامل التي ساهمت في نشر الإسلام في منطقة السودان الغربي وأقوى دليل على ذلك هو تلك الممالك الإسلامية التي قامت هناك حيث كان لها صلة وثيقة بالطرق الصوفية فقد كان كبار الملوك والسلاطين هناك أمثال عثمان فودي وعمر فوتي من أبرز أقطاب القادرية والتيجانية.

– تفرعت عن القادرية والتيجانية عدة طرق ما يدل على إقبال سكان السودان الغربي على الزوايا، حيث تخرج الكثير من المشايخ والعلماء الذين كان لهم الفضل الكبير في جلب المريدين إلى هاته الزوايا.

ويمكن القول أن العلاقة بين القادرية والتيجانية في بادئ الأمر كانت ودية سلمية، إلا أنها سرعان ما تحولت إلى صراع مسلح نتيجة عدة أسباب، لعل أبرزها اختلافهم في تفسير بعض المسائل الفقهية كالجهاد مثلا، إضافة للطموح والنفوذ السياسي لأصحابها.

الملاحق

الملحق رقم: 01. خريطة لحدود إمبراطورية التكرور في عهد الحاج عمر.[1]

[1] إلهام علي ذهني، جهاد المماليك الإسلامية في غرب إفريقيا ضد الإستعمار الفرنسي 1850-1914م، ص 233.

الملحق رقم:02. صورة لشخصية الحاج عمر الفوتي.[1]

[1] الموقع الإلكتروني: الحاج عمر الفوتي https://www.google.dz/search?q

قائمـــة

البيبليوغرافيـــا

فهـرس
الموضوعـات

فهرس الموضوعات:

الموضوع	الصفحة
البسملة	
شكر وتقدير	
إهداء	
قائمة المختصرات	
مقدمة	أ
المدخل	
1- مفهوم التصوف	6
2- التصوف ببلاد الغرب الإسلامي	12
3- تغلغل الإسلام إلى بلاد السودان الغربي وطرق انتشاره	17
الفصل الأول: التصوف والطرق الصوفية في السودان الغربي (القادرية والتيجانية نموذجا)	
المبحث الأول: الطريقة القادرية في السودان الغربي	24
1- مؤسس الطريقة بالمشرق وتطورها	24
2- تأسيس الطريقة القادرية	25
3-انتشارها ببلاد السودان الغربي	28
4-فروعها وشيوخها في السودان الغربي	34
المبحث الثاني: ظهور التصوف في السودان الغربي	38
1- الشيخ المغيلي والأبوة الفكرية للتصوف في السودان الغربي	38
2- نشاطه الدعوي بالسودان الغربي	40
المبحث الثالث: الطريقة التيجانية في السودان الغربي	42
1- التعريف بمؤسس الطريقة التيجانية	42
1- انتشار الطريقة التيجانية في السودان الغربي:	47
2-فروعها بالسودان الغربي	51

الفصل الثاني: أثر الطرق الصوفية على السودان الغربي	
المبحث الأول: تأثيرات القادرية في السودان الغربي	54
1- الشيخ عبد الكريم المغيلي والسياسة	54
2- الشيخ الكنتي ودوره الإصلاحي (ت: 959هـ/1552م)	57
2- حركة الشيخ عثمان بن فودي ونشاطه الإصلاحي	58
المبحث الثاني: تأثير الطريقة التيجانية على السودان الغربي	61
1- إصلاحات التجانيين	61
2- موقف الطريقة التيجانية من قضية المقاومة في غرب إفريقيا	62
3– قيام المملكة التيجانية وأبرز خلفاء الحاج عمر	65
المبحث الثالث: الصراع القادري–التيجاني	67
1– بداية الصراع	67
2– أسباب الخلاف القادري–التيجاني	71
خاتمة	73
الملاحق	76
قائمة البيبليوغرافيا	79
فهرت الموضوعات	

قائمـــة

البيبليوغرافيـــا

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

المصادر:

1.الإدريسي شريف، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. ليدن، مطبع بريل، 1863.

2.البرتلي الولاتي، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور. تح: ولد عبد الله عبد الودود وولد الحسن أحمد، القاهرة، دار نجيبويه للبرمجة والدراسات والنشر والتوزيع، 2019.

3.ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار. شرحه وكتب هوامشه: طلال حرب، دار المكتبة العلمية، بيروت، ط4، 1428هـ/2007.

4.البكري عبيد الله بن عبد العزيز بن عمرو، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب. القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، د.س.ط.

5.التادلي أبو يعقوب يوسف بن يحي، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي. تج: أحمد التوفيق، الرباط، منشورات كلية الآداب، ط2، 1997.

6.التمبكتي أحمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الديباج. تق: عبد الحميد عبد الله، طرابلس، دار الكاتب، ط2، د.س.ن.

7.ابن الجوزي جمال الدين أبي الفرج، تلبيس إبليس. بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، د.س.ن.

8.الحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا. ج: 2، تر: حجي عمار ومحمد الأخضر، لبنان، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1983م.

9. حرازم علي، جوهر المعني وبلوغ الأماني في فيض سيدي التيجاني. مصر، المطبعة المحمدية، مصر، ط2، 1318هـ.

10. ابن حوقل أبو القاسم محمد، صورة الأرض. منشورات دار مكتبة الحياة، لبنان، 1992.

11. ابن خلدون عبد الرحمان، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في التاريخ العربي والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر. ج:6، تح: الكرمي أبو صهيب، بيروت،ط4، 2000 م.

12. ابن خلدون عبد الرحمن، شفاء السائل وتهذيب المسائل. تح: محمد مطيع الحافظ، دمشق، دار الفكر، ط2، 1996م.

13. الدباغ أبو زيد عبد الرحمن الأنصاري، معالم الإيمان في معرفة أهل قيروان. ج: 2 ، تح: محمد الأحمدي أبو النور ومحمد ومحمد ماضور، تونس، المكتبة العتيقة، 1426هـ/2006م.

14. الأدفوي أبو الفضل جمال الدين جعفر ابن ثعلب، الموفي بمعرفة التصوف والصوفي. تح: محمد عيسى الصالحية، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، ط1، 1988.

15. الزهري أبو عبيد الله بن محمد، كتاب الجغرافيا. تح: الصادق محمد الحاج، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، د.س.ط.

16. السبكي تاج الدين، طبقات الشافعية. ج: 2، تح: الحلو محمد عبد الفتاح والطنطاوي محمود محمد، بيروت، دار إحياء الكتب العربية، ط2، 1383 هـ/1964م.

17. السلمي أبو عبد الرحمان، الطبقات الصوفية. تح: أحمد الشرباصي، مصر، مؤسسة دار الشعب، ط2، 1998.

18. الشنطوفي نور الدين أبي الحسن، بهجة الأسرار ومعدن الأنوار. تج: جمال الدين فالح الكيلاني، بغداد، الطبعة الماجستيرية، 2010.

19. الطوسي أبو نصر سراج، اللمع. تح: عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، مصر، دار الكتب الحديثة، 1960.

20. عثمان بن فودي، فتح البصائر لتحقيق وضع علوم البواطن والظواهر. تح وتع: سيني مومونى وسالو الحسن، ط3، 2011.

21. ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب. ج: 1، تح: بشار عواد معروف وبشار عواد محمود، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1434هـ/2013م.

22. الفداء عماد الدين، تاريخ أبي الفداء. ج: 2، ط 1، المطبعة الحسينية المصرية، د.ت.ن.

23. فودي عثمان بن محمد، فتح البصائر لتحقيق وضع علوم البواطن والظواهر. تح: سيني مومونيو سالو الحسن، دار النشر، جدة، 2011.

24. القشيري أبو قاسم عبد الكريم بن هوزان، الرسالة القشيرية، تح: عبد الحليم محمود بن شريف، القاهرة، مطابع مؤسسة دار الشعب، 1409 هـ/1989م.

25. القلقشندي احمد أبي العباس، صبح الأعشى في صناعة الإنشا. ج: 6، تح: محمد حسين شمس الدين، القاهرة، دار الكتب الخديوية، 1333هـ/1915م.

26. الكاشاني عبد الرزاق، الاصطلاحات الصوفية. تج: عبد العال شاهين، القاهرة، دار المنار للطبع والنشر والتوزيع، ط1، 1992م.

27. ابن كثير دمشقي، البداية والنهاية. ج: 6، ج: 9، تح: محمد تامر وآخرون، القاهرة، دار البيان العربي، 2006.

28. الكلاباذي أبو بكر محمد بن اسحق، التعرف لمذهب أهل التصوف. تح: آرثر جون إربري، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط2، 1994.

29. المغيلي بن محمد بن عبد الكريم، مدونة الفقه التصوفي مصباح الأرواح في أصول الفلاح. تح: مقدم مبروك، تلمسان، دار القدس الغربي، 2001.

30. المغيلي محمد بن عبد الكريم، أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي. تح: عبد القادر زبادية، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1974.

31. ابن منظور جمال الدين، لسان العرب. مج: 9، بيروت، دار صادر، ط3، 2006.

32. ياقوت الحموي شهاب الدين أبو عبد الله الرومي البغدادي، معجم البلدان. مج:3، لبنان، دار صادر، د.س.ط.

33. ابن يعلى محمد، **طبقات الكناية**. ج:2، تح: عبد الرحمان بن سليمان العثيمين، المملكة السعودية، مطبعة السنة المحمدية، 1999.

المراجع العربية:

34. إبراهيم عبد الله عبد الرزاق وشوقي الجمل، تاريخ غرب إفريقيا الحديث والمعاصر. القاهرة، مكتبة الإسكندرية، 1998م.

35. إبراهيم عبد الله عبد الرزاق، الطرق الصوفية في القارة الإفريقية. بنغازي، دار الكتب الوطنية، ط2، 2000.

36. إبراهيم عبد الله عبد الرزاق، المسلمون والاستعمار الأوروبي لإفريقيا. الكويت، مكتبة القادسية، الكويت، 1988.

37. ابن دجين السهاي عبد الرحمان، الطرق الصوفية نشأتها وعقائدها وأثارها. السعودية، دار الكنوز إشبيلية للنشر والتوزيع، المكتبة العربية، ط1، 2005.

38. أبو الوفاء الغنيمي التافتازاني، مدخل إلى التصوف الإسلامي. القاهرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط3، 1979.

39. أبو بكر خالد با، صور من كفاح المسلمين في إفريقيا الغربية (الحاج عمر الفوتي حياته وجهاده). نواكشط، مكتبة دار السلام، 2009.

40. أجاي أداي، تاريخ إفريقيا المعاصر. لبنان، دار الغرب الإسلامي، 1989.

41. أحمد أبا الصافي، من تاريخ توات أبحاث في التراث. الجزائر، دار الحضارة، ط1، 2011.

42. أحمد طاهر، إفريقيا فصول بين الماضي والحاضر. القاهرة، دار المعارف، د.ط، د.ت.ط.

43. أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة. القاهرة، دار عالم الكتب، 2009.

44. أحيار بن الشيخ ماميا، الشيخ ماء العينين علماء وأمراء في مواجهة الاستعمار. الرباط، دار المعارف الجديدة، ط2، ،د.س.ن.

45. أزمي أحمد، الطريقة التيجانية في المغرب والسودان الغربي. ج: 1، المغرب، مطبعة نضالة، 2000م.

46. إسماعيل محمود عبد الرزاق، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف ق 4هـ. الدار البيضاء، دار الثقافة، ط2، 1406هـ/ 1985م.

47. الآلوري آدم عبد الله، الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني. بيروت، الدار العربية، ط2، 1971.

48. أنياغ إبراهيم احم، التصوف في حياة الحاج عبد الله أنياس. السنغال، الاتحاد الثقافي الإسلامي، 1986.

49. باري محمد فاضل وكريدية سعيد إبراهيم، المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة. بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2007.

50. بازينة عبد الله سالم، انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء. بنغازي، دار الكتب الوطنية، ط2، 2010.

51. برايما باري عثمان، جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي (410هـ-15هـ/1038م-1121م). بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1988.

52. بوعتروس أحمد، الحركات الإصلاحية في إفريقيا جنوب الصحراء إبان القرن13هـ/ 19م. الجزائر، دار الهدى الجزائر، 2009.

53. التيجاني حافظ محمد، الحاج عمر الفوتي سلطان الدولة التيجانية بغرب إفريقيا شيء من جهاده وتاريخ حياته. الزاوية التيجانية. 1383هـ/1963م.

54. جبران مسعود، الرائد، معجم لغوي عصري. بيروت، دار العلم للملايين، 2009.

55. حسن الشرقاوي، معجم الألفاظ الصوفية، الأسكندرية، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط2، 1999.

56. حسين مؤنس، الطرق الصوفية وأثرها في نشر الإسلام. بور سعيد، مكتبة الثقافة الدينية، ط2، 2000 م.

57. الحمدي أحمد، المختار الكبير الكنتي، التصوف والعلم بأزواد وإفريقيا. الجزائر، جمعية البيت للثقافة والفنون، ط1، 2009.

58. الحمدي أيمن، قاموس المصطلحات الصوفية (دراسة تراثية مع شرح اصطلاحات أهل الصفاء من كلام خاتم الأولياء). الإسكندرية، 2003.

59. حوتية محمد، توات والأزواد خلال القرنين 12هـ-13هـ/18-19م. ج:1، الجزائر، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط1، 2007.

60. درنيقة محمد أحمد، الطريقة القادرية وأعلامها. لبنان، المؤسسة الحديثة للكتاب، 2009.

61. دندش عبد اللطيف عصمت، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا (430-515هـ/ 1038-1121م). بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1988 م.

62. ذهني الهام، جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي، "1851-1914. الرياض، دار المريخ للنشر، ط2، 1988م.

63. زبادية عبد القادر، دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء لمآثر ومؤلفات العرب والمسلمين. الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2006.

64. سيكرج أحمد، إزاحة الستار عما في الطريقة التيجانية من أسرار. د.د.ن، د.م.ن، د.س.ن.

65. الشاذلي بهيجة، الإسلام والدولة في إفريقيا جنوب الصحراء الفكر السياسي عند عثمان بن فودي خلال ق 19م. المغرب، مراكز الدراسات الصحراوية، 2015.

66. شترة خير الدين، الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني المصلح الثائر وفكره الإصلاحي في توات والسودان الغربي. ج:1، تلمسان، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 2011.

67. شقرون محمد، الإسلام الأسود جنوب الصحراء الكبرى. بيروت، دار طليعة، ط1، 2007.

68. شكيب أرسلان، حاضر العالم الإسلامي.ج: 2، بيروت، دار الفكر، ط4، 1973م.

69. شلبي أحمد، موسوعة التاريخ الإسلامي الإسلام والدول الإسلامية جنوب الصحراء منذ دخلها الإسلام حتى الآن. القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط2، 1990م.

70. الشيخ محمد الأمين عوض الله، العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطتين الإسلاميتين مالي وسنغاي. جدة، د.م.ن، ط1، 1970م.

71. طرخان إبراهيم علي، إمبراطورية البرنو الإسلامية. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1975م.

72. طرخان إبراهيم علي، دولة مالي الإسلامية. القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1975 م.

73. عبد القادر عيسى، حقائق عن التصوف. حلب، دار العرفان، ط1، 1428هـ/2007م.

74. عبد الكريم العثمان، سيرة الغزالي وأقوال المتقدمين فيه. تق: أحمد فؤاد الأهواني، دمشق، دار الفكر، د.س.ن.

75. عبد المنعم القاسمي الحسني، أعلام التصوف في الجزائر من البداية إلى غاية الحرب العالمية الأولى. الجزائر، دار الخليل القاسمي، ط1، 2006 م/1427هـ.

76. عقبي مؤيد صلاح، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها. بيروت، دار البراق، ط2، 2002.

77. عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ إلى 1962. ج:2، الجزائر، دار المعرفة، 2009.

78. غربي محمد، بداية الحكم الغربي في السودان الغربي. ج:1، إش: نقولا زيادة، الكويت، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، 1982م.

79. الفلاني الطيب عبد الرحيم، الفلاتة في إفريقيا ومساهمتهم الإسلامية والتنموية في السودان. الكويت، دار الكتاب الحديث، ط1، 1994.

80. فيتوري عطية مخزوم، دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء. بنغازي، منشورات جامعة قار يونس، ط1، 1997م.

81. قاسم جمال زكريا، الأصول التاريخية في العلاقات العربية الإفريقية. القاهرة، دار الفكر العربي، ط1، 1998م.

82. القحطاني سعيد بن مسفر، الشيخ عبد القادر الجيلاني وآراءه الاعتقادية والصوفية. مكة المكرمة، دار النشر مكتبة الملك فهد الوطنية، ط2، 1997م.

83. ماحي عبد الرحمن عمر، انتشار الإسلام في إفريقيا. الرباط، مجلس الشهادة الثانوية العالمية، الرباط، ط2، شوال 1422هـ/جانفي 2002.

84. مأمون غريب، أبو الحسن الشاذلي: حياته، تصوفه، تلاميذه وأوراده. القاهرة، دار الغريب للطباعة والنشر والتوزيع، 2000م.

85. متوتي محمد، المدرسة الكنتية كأبرز قناة بين الإفريقيين في العصر الحديث. الرباط، منشورات جمعية الموظفين في كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1992 م.

86. محمد العربي بن سايح، بغية المستفيد لشرح منية المريد. الرباط، دار الفكر، 1973.

87. محمد بركات البيلي، الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والأندلس حتى القرن الخامس الهجري. القاهرة، دار النهضة العربية، 1993.

88. مفتاح عبد الباقي، أضواء على التيجاني وأتباعه. مدونة الولي الصالح سيدي بن عزوز، د.م.ن، د.ت.ن.

89. مقدم مبروك، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية بإفريقيا الغربية خلال القرن التاسع للهجرة الخامس عشر ميلادي. وهران، دار الغرب للنشر والتوزيع، 2006.

90. مقلاتي عبد الله ورموم محفوظ، دور منطقة توات الجزائرية في نشر الإسلام والثقافة العربية بإفريقيا الغربية. الرباط، دار الشروق، ط1، 2009.

91. ناني ولد الحسين، **صحراء الملثمين دراسة لتاريخ موريتانيا وتفاعلها مع محيطها الإقليمي خلال العصر الوسيط من منتصف القرن 2هـ/8م إلى نهاية القرن 5هـ/11م**. تق: محمد حجي، بيروت، دار المدار الإسلامي، ط1، 2007م.

92. هلال عمار ومبروك الدالي، الطرق الصوفية ونشر الإسلام في غرب إفريقيا السمراء. الجزائر، وزارة الثقافة العربية، ط2، 2006.

93. الهمشري محمد علي وآخرون، انتشار الإسلام في إفريقيا. الرياض، دار الأركان، ط2، 1997.

الكتب المعربة:

94. أرنولد توماس، الدعوة إلى الإسلام، تر: حسن إبراهيم حسن، مصر، مكتبة النهظة المصرية، 1970م.

95. آنا ماري شيمل، الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف. تر: محمد إسماعيل السيد رضا حامد قطب، بغداد، منشورات الجمل، ط2، 2006.

96. رينولد نيكلسون، التصوف الإسلامي وتاريخه. تر: أبي العلاء العفيفي، القاهرة، دار الكتب الحديثة، 1999.

97. فنسان منتاي، الإسلام في إفريقيا السوداء، تر: إلياس حنا، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر، ط2، 1983م.

الرسائل الجامعية:

98. أحمد نور الدين، المنهج الدعوي للإمام المغيلي من خلال الرسائل التي بعثها للملوك والأمراء والعلماء. مذكرة ماجستير غير منشورة، جامعة الحاج لخضر بباتنة، 2010-2011،.

99. أمينة أحمد يحي وأمينة أمحمد مسعود، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي ودوره في ظهور الحركات الجهادية في غرب إفريقيا. مذكرة ماستر في تاريخ أفريقيا، جامعة الجيلاني بوعمامة، خميس مليانة، 2015/2014.

100. بدوي علي سليمان، الطريقة القادرية والاستعمار الفرنسي في موريتانيا 1903/1960م. رسالة ماجستير غير منشورة في التاريخ الحديث والمعاصر، دراسات إفريقية، قسم تاريخ، جامعة القاهرة، 2003.

101. جاجو حسين، حركة الحاج عمر فوتي في السودان الغربي خلال القرن 18. رسالة ماجيستير غير منشورة، إش: أبو قاسم سعد الله، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 1999.

102. عباس عبد الله، التأثيرات الحضارية لمنطقة توات في السودان الغربي. رسالة ماجستير غير منشورة، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1998/1997م.

103. فرج محمود فرج، إقليم توات خلال القرنين. 18م و19م دراسة لأوضاع الإقليم السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية. أطروحة دكتوراه، أبو قاسم سعد الله، معهد العلوم الاجتماعية، دائرة التاريخ، الجزائر، 1997م.

104. محمد الداه أحمد، القادرية في موريتانيا. رسالة ماجستير غير منشورة، إش: عبد الشكور محمد أمان لعروسي، قسم العقيدة كلية أصول الدين، جامعة أم **القرى مكة المكرمة، 1412هـ/ 1992**م.

105. محمد صلاح آدم، قيام دولة المرابطين ودورها في نشر الإسلام في السودان الغربي (448-541هـ/ 1056 -1147م). رسالة ماجستر في تاريخ الإسلام، جامعة النيلين كلية الدراسات العليا، الإسكندرية، 1438 هـ - 2017 م.

106. مسعودي زهرة، الطرق الصوفية بتوات وعلاقاتها بغرب إفريقيا من القرن 18-20م. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الاجتماعية والإسلامية، جامعة أدرار، 2009/2010.

المجلات والدوريات:

107. أبيكن موسى عبد السلام، "محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني". فقه السياسة والحوار الديني". أعمال الملتقى الدولي بتلمسان يومي 12- 13 ربيع الأول 1433هـ/05-06 فيفري 2012م، تلمسان، منشورات وزارة الشؤون الدينية، 2011.

108. إمباكي خديم، "ذكرى مرور مائتي سنة على ميلاد الشيخ عمر فوتي تال". المغرب، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، 2001.

109. إنوخيا إدريس وبرماتي فاطمة، "الشيخ أمحمد بن عبد الكريم من المهد إلى اللحد". الذاكرة، ع: 17، ماي 2016، قسم اللغة الأدب العربي، جامعة أدرار، الجزائر.

110. بناني عثمان، "السودان الغربي عند ابن بطوطة". دعوة الحق، ع : 6، 29 ماي، 1988.

111. حسين أحمد إلياس، "**دور الصوفية في المجتمعات الإفريقية جنوب الصحراء (9-13هـ)(15-19م) السودان نموذجا**". مجلة الجامعة الأسمرية، ليبيا، السنة الثالثة، ع: 42.

112. خالدي مسعود، "محمد بن عبد الكريم المغيلي ودوره الإصلاحي في السودان الغربي". دورية كان التاريخية، ع: 26، ديسمبر 2014.

113. خثلان سعود بن حمد، "دور التجار المسلمين في رواج التجارة بين بلاد المغرب والسودان الغربي فيما بين القرنين 3 و4 هـ/9 و11م". مجلة جامعة الملك بن عبد العزيز، الآداب والعلوم الإنسانية، مج 5، 1412 هـ/ 1992م.

114. عراقي إدريس، "اليواقيت العرفانية في التعريف بالشيخ أحمد التيجاني وبطريقته وزاوية الأم التجانية". ندوة الطريقة التيجانية، بفاس 23-29 ديسمبر 1985.

115. عمر أحمد سعيد، "**دور حركات التجديد الإسلامي في غرب إفريقيا**". دراسات إفريقية، ع: 6، رجب 1410هـ/فبراير 1990م.

116. مكي حسين، "رواد الفكر والتجديد في السودان وإفريقيا جنوب الصحراء في المائتان سنة الأخيرة". دراسات إفريقية، الخرطوم، ع: 41، يونيو-حزيران، 2005م.

117. الوزاني الطيب، "مقومات التفاعل الحضاري بين دول إفريقيا والمغرب الأقصى معالجة في التركيب".ضمن كتاب ندوة التواصل الثقافي، جامعة عمر المختار البيضاء، ليبيا،أيلول 2010.

118. ولد عبد الله عبد الودود، "تحولات التصوف عبر الصحراء من الزاوية الرقادية إلى المدرسة المختارية". الأدب المقاوم في القارة الإفريقية، أعمال ملتقى عيون الأدب العربي، النسخة التاسعة، دورة الشيخ سيدي المختار الكنتي، المغرب، منشورات جمعية النجاح للتنمية الاجتماعية، ط1، 2018.

119. هربك ايفان، "بروز الدولة الفاطمية". موسوعة تاريخ إفريقيا العام"، اليونسكو، 1994.

120. شعباني نور الدين، "التواجد المذهبي في السودان الغربي بين القرنين الخامس والعاشر للهجرة". دورية كان التاريخية، ع: 18، ديسمبر 2012.

مراجع أجنبية:

121. CORNEVIN Robert, **Histoire des Peuples de L'Afrique Noir**. Op.Cit, P: 322, Paris, Ed Berger-Levrauts, 1962